قصص قديمة في كوريا

دار النشر باللغات الأجنبية · جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١١٠ زوتشيه (٢٠٢١)

قصص قديمة في كوريا

دار النشر باللغات الأجنبية · جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١١٠ زوتشيه (٢٠٢١)

توطئة

منذ أقدم العصور، كان الشعب الكوري يعيش كأمة متجانسة على أرض واحدة، فيما هو يخلق تاريخه العريق وثقافته المشرقة. أظهر الأسلاف الكوريون ذكاءهم وحكمهم الكثيرة، عبر تاريخهم الممتد إلى خمسة آلاف سنة، حتى حققوا أزهار الثقافة الشرقية جيلا بعد جيل، بعملهم الخلاق المجتهد والمخلص.

في هذا الكتاب، تم تحرير بعض القصص والنوادر الحقيقية المغمورة في ثنايا التاريخ، لكنها شاعت بين الكوريين.

فهرس

لوحة الرسم المشهور بقلم دامجينغ ٤

بتنصيب موظف حكيم واحد ٦

بعد التظاهر بضعف القوى ٩

"ترنيمة الطاحون" بأداء بايكغيول ١٢

"قصة ملك الزهور" بحديث سولتشونغ ١٤

شجرة الصنوبر الهرمة برسم سولكو ١٦

حجة مقنعة للموسيقار ووروك ١٧

شاعر نهر دايدونغ ١٩

"إياك أن تقلق على الفقر" ٢١

الزوجان النزيهان ٢٦

طفل في الخامسة من عمره أوقف الموكب ٢٨

شاعر بكى في بيونغ يانغ وغادرها ٣٠

سهم مغروز في شفة ٣٣

رجل حكيم معترف به بعد عشر سنوات ٣٥

مصدر تسرب الأسرار ٣٧

ذكاء كيم سي سوب ٤٢

زوجة أيقظت وعي زوجها ٤٤

"كنز" كوري ٤٨

"صخرة ويآم" (الصخرة الشريفة) القائمة بجانب جوسق تشوكسوك ٤٩

بعد تنصت قول أحد ضباطه المرؤوسين ٥٢

باك داجي ٥٥

شراء قبعة الخيش ٥٨

حكم عادل ٥٩

غسيل مع لابسه ٦٠

وصفة ساحرة ٦٣

لوحة الرسم المشهور بقلم دامجينغ

كان دامجينغ رساما مشهورا في كوغوريو (اسم كوريا القديمة) وتقنيا ماهرا أيضا، علم اليابانيين تقانة صنع الحبر الأسود والورق.

حدثت هذه القصة حين رسم دامجينغ جداريات المبنى الرئيسي التي صارت معروفة بالتحفة العالمية في معبد هوريو البوذي في اليابان.

تلبية لدعوة اليابان، سافر دامجينغ إلى هذا البلد، ليعلم اليابانيين فن الرسم وطريقة صنع واستعمال مادة التلوين.

ذات يوم، زاره الراهبون البوذيون اليابانيون، وطلبوا منه أن يرسم جداريات المبنى الرئيسي لمعبد هوريو الذي بنوه حديثا.

وافق دامجينغ على طلبهم وذهب إلى المعبد توا وأعد عدة للرسم. ولكن كان من الغريب أنه لم يبدأ بالرسم حتى بعد مضي شهر وشهرين. ذلك لأنه قد سمع أثناء استعداده للرسم خبرا يفيد بأن ملايين الغزاة الأجانب انقضوا على وطنه كوغوريو. فاشتد الهم به متسائلا في نفسه هل تستطيع كوغوريو أن تصد هذه القوات العدوانية الضخمة؟ ولو لم تصدها، كم أعظم تعاسة أبناء أمتنا الذين سيداسون تحت أقدام الغزاة. لانشغال باله دائما في ذلك، لم يستطع الرسم وصنع مواد الصبغ أيضا كما ينبغي، وحتى إذا حاول الرسم، شعر بإعياء يده الممسكة بالريشة.

هكذا بما أنه أمضى عدة أشهر، مستغرقا بوحده في الغم والكدر، فازداد عدد المتشككين به من بين الراهبين اليابانيين الذين لا يعرفون ما يدور في خلده، حتى تساءلوا في أنفسهم:

"أهو حقا رسام مشهور في كوغوريو؟"، "أليس كسولا يتجول متنكرا بالرسام؟"، "ومن دون شك أنه رسام مزور حتى لم يتجرأ إلى الآن على الرسم."

رغم أن دامجينغ سمع هذه الافتراءات، لم يستطع أن يتناول ريشة. إذ أن خواطر شتى تواردت إلى باله، وبدا له أن الرسوم التي رسمها على مضض لافتراء الراهبين لن تكون رسوما سليمة، وحتى إذا أكمل رسمها، فمن يقدرونها، حين عرفوا أنها بقلم فنان محروم من بلده يا ترى؟

في غضون ذلك، أسرع إليه في أحد الأيام، رئيس الرهبان في المعبد وقال: "يا له من أمر سار! سيدي، قد قطع جيش كوغوريو بقيادة القائد وولجي مون دوك رؤوس ملايين الغزاة الأجانب كلهم".

هب دامجينغ واقفا من رقد فاتر، وسأل: "أ هذا حقا، يا رئيس الرهبان؟".

حين تأكد من صدق قوله، غمره السرور والبهجة حتى لم يعرف ماذا يفعل. وفي اليوم التالي، غسل جسمه بنظافة في الماء الصافي وسط الغابة، وأخرج مواد الصبغ والريشة، وبدأ برسم الجداريات.

لخبر انتصار الوطن على الجيش المعادي الكبير، ملأ قلبه بالفرح الغامر، وفاضت من نفسه قوة ونشاط حتى طارت يده الممسكة بالريشة كجناح الكركي على جدار المبنى.

وعلى ذلك، رسمت الجداريات السحرية الرائعة على حيطان المعبد في لمحة البصر.

ما إن انتشر الخبر لانتهاء رسم الجداريات، حتى اجتمع عدد كبير من الرهبان البوذيين واليابانيين الآخرين إلى المعبد، حين رأوها، لم يتمالكوا أنفسهم من شدة دهشتهم وإعجابهم، حتى قالوا:

"هذه الجداريات فريدة في الدنيا. حقا إن مهارة الرسام دامجينغ ساحرة جدا."

لكن دامجينغ قال لهم:

"إذا كانت هذه الجداريات رائعة، فإن الفضل في ذلك لا يعود إلى سحر مهارة رسمي، بل لإنها متشربة بروح كوغوريو. عليكم أن تعرفوا أن هذه الجداريات قد تم إكمالها بذكاء وبسالة وصلابة أهالي كوغوريو الذين لا يعرفون استسلاما حتى أمام أي عدو كبير وعات."

كانت جداريات المبنى الرئيسي في معبد هوريو تعتبر ككنز وفخر لليابان، لكنها احترقت مع الأسف في عام ١٩٤٨، حتى لم يبق أثر لها دون انتقالها إلى الأجيال القادمة.

بتنصيب موظف حكيم واحد

حدث ذلك في خريف أحد الأعوام، التي كان يشغل فيها تشانغ جو ري منصب كبير الوزراء في كوغوريو. ذات مرة، دعا الملك بونغسانغ عدة رعاياه إلى بلاطه الملكي، وقال لهم:

"كثيرا ما يعتدي الأعداء العتاة على حدودنا، مما يقلقنا دائما. فماذا نعمل بهم في رأيكم؟"

وطلب الملك منهم أن يقدموا اقتراحات مناسبة لحل المشكلة.

في ذلك الحين، كان الأعداء القائمون في حدود غرب شمالي كوغوريو يعتدون مرارا عليها، ويقتلون أهاليها ويسلبون ثرواتهم.

في عام ٢٩٣ أي قبل ثلاثة أعوام من ذلك الحين أيضا، اجتازوا حدود كوغوريو، فانطلق الملك بونغسانغ مباشرة بقيادة الجيش إلى بلدة سين المسورة، لطردهم، لكنه تعرض لهجوم الأعداء المتفوقين، حتى تراجع إلى بلدة كوكريم. في هذا الوقت الحرج، استقبله كونوزا والي بلدة سين المسورة بقيادة أكثر من ٥٠٠ فارس، ووجّه هجوما معاكسا إلى الأعداء، حتى استطاع الملك أن يتخلص من الأزمة، ويصد اعتداء الأعداء.

هؤلاء الأعداء أعادوا الاعتداء قبل أيام، واقترفوا جريمة نبش قبر الملك السابق سوتشون.

ولكن الأضرار الأكبر لم تقع لحسن الحظ، لأن بعض نباشي القبر سقطوا أمواتا من دون سبب، وترامى من القبر المنبوش صوت الأغاني إلى آذان الأعداء، حتى ولوا هاربين خوفا من وجود العفاريت.

هكذا، بما أن الأعداء يثيرون اضطرابا في مناطق الحدود، حتى كانت كوغوريو مقلقة بها.

حث الملك رعاياه على تقديم اقتراح قائلا: "تفضلوا قولوا ما هو سبيل إلى صد غزو الأعداء."

اقترح أحد الرعايا بوضع عدد أكبر من العساكر على منطقة الحدود، لكن الرعية الآخر رفضه قائلا إن إرسال العدد الأكبر من العساكر إليها يعني إضعاف الدفاع عن العاصمة وداخل البلد، مما يوقعها في الأزمة. ثم إن تجنيد عدد أكبر من العساكر غير مناسب، لأن الشعب يعاني مجاعة لسوء المحاصيل في تلك الأعوام، وصارت أموال الدولة أيضا في حالة النضوب.

- إذن، أليس لدينا سبيل لصد غزو الأعداء؟

سأل الملك هكذا بلهجة الحسرة، ملتفتا إلى عديد من رعاياه.

حينذاك، تقدم كبير الوزراء تشانغ جو ري بخطوة إلى الأمام وقال:

- لديّ فكرة، يا صاحب جلالة الملك.

- قل لي ما هي فكرتك؟

- أرى في ظروف عدم إمكانيتنا من إرسال المزيد من العساكر إلى منطقة الحدود، ولا تجنيد المزيد منهم، لوضع البلد، ليس لدينا سبيل آخر لحل المشكلة إلا اختيار رجل قدير وتعيينه كوالي منطقة الحدود.

- تعيين رجل قدير؟! ...

أصيب الرعايا بالحيرة، حتى ألقوا نظراتهم إلى تشانغ جو ري.

سأله الملك أيضا كما لو أنه لا يفهم كلامه:

- كيف يمكن تسوية أزمة البلد، بمجرد تعيين رجل واحد؟

رد عليه تشانغ جو ري بقوله المقنع:

- لوضع سقف البيت، يجب اختيار عارضة مناسبة أولا وقبل اختيار الروافد. وبالمثل، لا يمكن كسب النصر دون قائد قدير يقود العساكر، حتى إذا تم تجنيدهم بأعداد كبيرة. فإن أول ما يجب علينا أن نعمله هو اختيار رجل جريء وقدير على الدفاع عن الحدود وتعيينه.

- الحق معك!

وافق الملك هكذا على قوله، وأومأ الرعايا أيضا برؤوسهم بالإيجاب.

- من هو إذن رجل مناسب في رأيك؟

سأله الملك هكذا، وعندئذ، أجاب تشانغ جو ري توا.

- أرى أن كونوزا والي بلدة سين المسورة هو الرجل المناسب.

- أ تقول كونوزا، الرجل الذي ساعدني في بلدة كوكريم قبل عدة الأعوام، حين هاجم العدو على بلدنا؟

تذكره الملك أيضا لتوه، دون أن ينسى ما حدث في ذلك الحين.

- أجل، يا مولاي، إذا عهدت إليه مهمة الدفاع عن منطقة الحدود، وساعدته، فإنه سيظهر كل ما لديه من الذكاء والجرأة، حتى لن يكون دواعي القلق على هذا الأمر.

وافق عليه الرعايا الآخرون أيضا، حتى عين الملك كونوزا كوالي بلدة سين المسورة، وأسند إليه مهمة صد غزو الأعداء الأجانب.

أصلا، كان كونوزا وقارا وعظيم السمعة، وحين رآه سكان بلدة سين يمارس شؤون البلدة بحكمة، ويوطد دفاعات الحدود، منذ صار والي بلدتهم، راحوا يتبعونه، ولم يجرؤ الأعداء على غزو الحدود، خوفا منه.

هكذا، زال قلق البلد منذ تعيينه، حتى أشاد بـ تشانغ زو ري كبار الموظفين والشعب.

بعد التظاهر بضعف القوى

كان بو بون نو قائدا عسكريا مشهورا في كوغوريو. في يوم الصيف من أحد الأعوام، بعد اعتلاء الملك يوريو على العرش، دعا الملك إليه القادة العسكريين بما فيهم بو بون نو، وقال لهم بلهجة القلق.

-لا يوافق العدو الخارجي على الصلح معنا، بالاعتماد على حصنهم الطبيعي المنيع، وإذا صار الوضع صالحا لهم، فإنهم يخرجون لينهبوا ما في أرضنا، وإذا صار الوضع غير صالح لهم، فإنهم يقبعون في حصنهم المنيع. هذا هو موضع قلق بلدنا. بماذا في رأيكم نضع حدا لهذا الأمر؟

لكن جميع الحاضرين بقوا واجمين، وهم يلتفتون بعضا لبعض.

عندئذ، تقدم بو بون نو خطوة إلى الملك وقال:

- ما رأيكم، إذا استخدمنا حيلة تظاهرنا بضعف القوى؟

لكن القائد القديم اسمه بو وي يوم الذي هزم مملكة أوكزو الشمالية، وجعلها تنضم إلى كوغوريو في عهد الملك دونغميونغ، رفض اقتراحه قائلا:

- أرى ذلك أمرا مخزيا، يا مولاي. صارت الممالك المجاورة حتى الآن تابعة لنا، خوفا من جبروت دولتنا كوغوريو. فلا يمكن تشويه سمعة دولتنا اليوم.

لكن بو بون نو أصر على رأيه، قائلا:

- بما أن العدو يقاوم بعناد الآن، بالاعتماد على تضاريس أرضه الصالحة، لا تصلح المحاولة في إخضاعه بالقوة وحدها لحفظ سمعة بلدنا.

هكذا، تضارب الرأيان. فاستغرق الملك في التفكير لبرهات، وسأل لبو بون نو:

- بدا لي أنك أمعنت في التفكير. فما هي حيلتك؟

دنا بو بون نو من الملك وقال له:

- أولا، نجعل قوة جيشنا وأعتدته في الحدود تبدو بائسة، وفي الوقت ذاته، نرسل رجلنا المتنكر إلى منطقة العدو، ليروج شائعة كاذبة بأننا عاجزون في الواقع، رغم أننا نبدو أقوياء في الظاهر، وعندئذ، سيستخف العدو بنا، وتسترخي يقظتهم. وبعد انتظار ذلك، نرسل وحدتنا المختارة إلى المقربة من موقع العدو، لنضع الكمائن بها، وعلى إثر ذلك، نجعل بعض عساكرنا يتحرشون العدو بالقتال، وعندئذ، سيسعى العدو للقتال من دون شك، وإذا تظاهر عساكرنا عندئذ بالهروب بعد إجراء عدة الاشتباكات، فإن العدو يفتح بوابة السور، ويتدفق منه جنوده بأعداد كبيرة، ويطاردونهم، وفي هذه الفرصة، يمكن للوحدة التي كانت

في الكمائن أن تستولي على حصن العدو، وبعده، نهاجم العدو من الأمام وخلفه، عندئذ، سيكون العدو أشبه بفأرة في الجرة.

بعد أن سمع الملك قوله، وافق توا على مشروعه، وأمر بعهد هذا الأمر إليه.

منذ ذلك اليوم، شرع بو بون نو بتدبير الشؤون لتحقيق خطته. حرص أولا على نقل معظم العساكر والأعتدة القائمة في الحدود إلى الوراء، لتبدو الدفاعات في الحدود حقيرة، ومن ثم، جعل أحد مرؤوسيه الذكي يتنكر بتاجر الملح، ويدخل منطقة العدو.

بعد مضي فترة معينة من ذلك، سمع العدو شائعة كاذبة نشرها "تاجر الملح" بأن دفاعات حدود كوغوريو بائسة في الحقيقة، فإنهم تأكدوا من صدق قوله في الواقع، ورؤوا أن قوله صحيح. فزاولهم توتر الأعصاب، وصاروا يتربصون فرصة لغزو كوغوريو.

في غضون ذلك، انطلق بو بون نو بقيادة الوحدة خلسة في منتصف الليل من أحد الأيام، ووضعها في الكمائن في المقربة من سور العدو، وفي اليوم التالي، انطلق الملك بقيادة جزء من جيشه، واستفز العدو بالقتال، وبعد إجراء بعض الاشتباكات مع العدو، تظاهر بالهروب، فإن العدو فتح بوابة السور، وخرج منها جنوده مسرعين، وراحوا يطاردونه، وحين جرّ الملك قوات العدو إلى البعيد، حتى اقتحمت قوات كوغوريو بقيادة بو بون نو التي كانت في الكمائن قلعة العدو واستولت عليها بسرعة البرق.

بعد أن أدركت قوات العدو حقيقة الأمر، دارت إلى الوراء، وحاولت في استرجاع قلعتها، لكن قوات كوغوريو وجهت ضربات إليها من القلعة، وفي خارجها، انقضت قوات الملك على خلف العدو حتى صار العدو محصورا،

واستسلم لكوغوريو، وفي النهاية، صارت هذه المملكة تابعة لكوغوريو.

احتفالا بالنصر، أقيمت في قصر ملك كوغوريو مأدبة فاخرة.

أثناء المأدبة، دنا بو بون نو إلى بو وي يوم بهدوء، وقال له:

- يا أخي، حتى هذا اليوم، لا تعجبك حيلة التظاهر بضعف القوى؟

لكن بو وي يوم لم يلبث أن يهز برأسه رفضا، وقال:

- طبعا، لا تعجبني.

- لحد الآن؟

- أجل، لن أظهر مظهر الضعيف أمام العدو إطلاقا.

- ماذا؟

- ماذا أعمل إذا تعرضت للهزيمة، مثلما تعرض لها العدو؟

- ها، ها ...

انفجر جميع القادة الحاضرين ضاحكين، بعد ما سمعوا حديثهما، وقالوا:

كلامه صحيح. إن الدرس الذي يحس به المرء في حالة الهزيمة أعظم مما في حالة النصر.

"ترنيمة الطاحون" بأداء بايكغيول

كان بايكغيول موسيقارا من أهل سيلا (دولة إقطاعية كورية دام وجودها ما بين أوائل أواسط القرن الواحد بعد الميلاد وعام ٩٣٥)، وعاش في أسفل جبل ريانغ في كيونغزو.

لفقره المدقع، كاد يسد رمقه، واعتاد أن يلبس ثوبا مرقعا ترقيعا كثيرا، إلى

حد يدعوه الناس بلقب "بايكغيول" بمعنى لابس الثوب المرقع بمائة قطعة من الأقمشة.

ولكن رغم شفاف عيشه، لم يعرف أي قنوط أو يأس، بل إنه كان يجد متعة حياته في إبداع الموسيقى والعزف على آلة كومونكو الموسيقية. كان يستطيع أن يعبر عن كل مشاعر الناس بهذه الآلة الموسيقية.

كل من يسمعون موسيقاه كانوا يستغرقون حينا في الفرح، وحينا آخر في الحزن، وتارة في الغضب، وأخرى في الشكوى.

ذات يوم قبيل عيد رأس السنة القمرية من أحد الأعوام، كان الجيران مشغولين بتحضير الاحتفال بعيد رأس السنة، فلم ينقطع صوت الطواحين لطحن الأرز.

بعدما بقيت زوجة بايكغيول تسمع ذلك الصوت في غرفتها الموحشة، شكت لزوجها قائلة:

- يطحن الآخرون أرزهم للاحتفال بالعيد، ولكننا بقينا جالسين في الغرفة الخاوية دون حبة من الحبوب، وبماذا نحتفل بالعيد؟

ابتسم بايكغيول ضمنيا، ولاطفها بقوله الهادئ:

- يا حبيبتي، إذا كان صوت طاحون الآخرين موضع غبطك هكذا فإني سأؤلف أغنية الطاحون لأواسيك بها.

أخذ بايكغيول آلة كومونكو، وراح ينقر أوتارها بأصابعه، حتى انبعث منها صوت الطاحون "طق، طق، طق"، وامتلأ البيت بضجيجه.

كان الجيران صاروا يتعلمون من هذه الأغنية، فيما هم يطحنون الحبوب على أنغام الموسيقى المنبعثة من بيت بايكغيول. هذه هي "ترنيمة الطاحون".

"قصة ملك الزهور" بحديث سولتشونغ

ذات يوم صيفي من أحد الأعوام من عهد الملك سينمون في بلد سيلا، كان الملك يقضي أوقات راحة، فيما هو يروّح نفسه بالمروحة، في حديقة البلاط الملكي الذي يهب فيها النسيم المنعش، وحين شعر الملك بالملل، دعا إليه سولتشونغ، وقال له:

- توقف اليوم هطول المطر الكئيب، وصار الجو طريا بهبوب ريح الجنوب، ولكن بالي كاسف، وقد ماتت شهيتي لشروب الخمر، وسماع الموسيقى أيضا. وتفضل أنت لي برواية ما سمعته، مؤخرا من التقولات غير العادية.

على طلب الملك، فكر سولتشونغ مليا للحظة، وقال:

- سمعا وطاعة يا مولاي، لدى قصة سمعتها.

- ما هي قصتك؟

- هي قصة عن ملك الزهور.

- ملك الزهور! هل يوجد ملك بين الزهور أيضا؟ هذا هو ما أسمعه لأول مرة، وأرى أنها قصة مشوقة. تفضل إحكيها.

راح الملك ينصت أذنيه، مغمضا عينيه. جلس سولتشونغ على ركبتيه أمام الملك، وبدأ يحكي القصة:

- "في إحدى ممالك الزهور، حل الربيع، حتى تفتحت مختلف أنواع الزهور، ومنها كان ملك الزهور أبرز ما يزدهر ازدهارا جميلا.

سرعان ما توافدت إليه مختلف أنواع الأزهار من قريب وبعيد، لتقدم تحية له، ساعية إلى إرضائه.

ومنها، ظهرت زهرة الورد في أبهى مظهر ساحر، ومثلت أمام الملك بحياء، وقالت: إني وردة هادئة البال، أرى نفسي في مرآة مياه البحر، وأغسل جسمي بمطر الربيع، وأستمتع بالنسيم العليل. بعدما سمعت فضائل جلالتكم العالية، وددت لو أخدمكم في القريب منكم، فأرجوكم أن تلبوا رغبتي الملحة هذه.

وعلى إثرها، ظهرت أمام الملك زهرة الفصح العجوز وهي تتعثر في خطوها منحنية ظهرها، وتتكئ على العكاز، وقالت: إني زهرة الفصح، وأعيش متفتحة في منحدر ذلك الجبل العالي. يقول المثل القديم إن أي من يشبع بطنه بأطايب الأطعمة لا يغدو قويا دون استخدام الدواء، وحتى إذا كانت ثمة أفضل أقمشة الملابس، لا يترك المرء قماش القنب الخشن الذي تم نسجه بلحاء العشب. وبالمثل، جئت أنا أيضا رغم أني دميم الوجه، آملا في إعداد جلالتكم ما ينقصكم مسبقا.

هكذا، بقيت كل منهما جاثية أمام الملك راجية منه أن يستخدمها.

بعد أن ظل أحد الرعايا يرقب هذا المشهد، تقدم إلى الأمام، وسأل لملك الزهور:

- أيا منهما تختارون، يا مولاي.

بقي ملك الزهور يتأمل كلا من الوردة الفاتنة وزهرة الفصح منحنية الظهر بالتعاقب، وظل يتردد دون بت قرار وهو يقول في نفسه:

- قول زهرة الفصح يصح، لكن هذه الوردة فائقة الجمال يصعب الحصول عليها، فماذا أعمل؟

عندئذ، تقدمت زهرة الفصح خطوة إلى ملك الزهور، وقالت:

- قيل إنه من النادر رؤية ملوك لا يقربون مداهنين، ولا يبعدون رجالا

مستقيمين ونزيهين. جئت اليوم، لأني سمعت أن ملكنا عاقل وأمين بالواجب الأخلاقي، لكني أدركت الآن أني كنت مخطئة.

هكذا، قالت بحسرة، واستدارت إلى الوراء للعودة.

عندئذ فقط، عاد الملك إلى رشده، وهب واقفا، وأمسك بزهرة الفصح، وقال: إني كنت مخطئا.

واعتذر الملك لزهرة الفصح، وقرر قبولها."

انتهت قصة سولتشونغ.

بعد أن سمع الملك قصته مغمضا عينيه، لم يبد أي رد منه لبرهات كما لو أنه يغفو. وبعد لحظات، فتح عينيه، وألقى نظرته إلى سولتشونغ، وقد احمر وجهه. بدا أنه أحس بالندم حتى بقي في حيرة دون أن يعرف ماذا يفعل، وأخيرا، صارح ما يدور في خلده قائلا:

- قصتك تنطوي على معنى عميق. فلا بد من تدوينها الجيد، ليتخذها الملوك القادمون تعليما لهم.

بهذه القصة، قدم سولتشونغ نصيحة للملك. في الفترة اللاحقة، تم تدبيج هذه القصة حتى صارت حكاية رمزية رائعة في العصور الوسطى بعنوان "قصة ملك الزهور".

شجرة الصنوبر الهرمة برسم سولكو

كان سولكو رجلا من أهل مملكة سيلا (إحدى الممالك القديمة في كوريا). كان مولعا بالرسم منذ طفولته. قيل إنه لم يستغن عن الرسم ولو ليوم

واحد، رغم أنه كان يستغني عن تناول وجبات الطعام في الأحيان الكثيرة، لشدة فقر حياته.

في ذلك الحين، بلغت مهارته في الرسم مستوى عاليا لا يجاريه أحد.

ذات مرة، تلقى سولكو طلبا للرسم على الحائط الخارجي لمعبد هوانغريونغ الذي بني في حوالي عام ٥٦٠.

فقد رسم شجرة الصنوبر الهرمة بأسلوبه الساحر، وبدت الشجرة حية تماما بجذعها الغليظ وقشورها المشقوقة، كما لو أنها نمت بصمود حتى أمام أمواج ورياح السنين، وأوراقها الخضراء النضرة كما لو أن الندى نزل عليها لتوه.

لشدة حيوية الشجرة المرسومة، توافدت إليها الطيور مثل الغربان والصقور والسنونو وعصافير الدوري، لتحط عليها، لكنها اصطدمت بالحائط، وسقطت على الأرض. وعلى ذلك، صار رسمه هذا يعتبر ككنز في البلاد.

مع مرور الأيام والسنين، أصبح الرسم حائل اللون بفعل الشمس والثلوج والأمطار والرياح، وبدأت ألوانه تبهت. تأسف على ذلك الرهبان البوذيون في معبد هوانغريونغ، فأعادوا تلوينه بكل عناية، بإيجاد ألوانه الأصلية، لكن الطيور لم تكن تتوافد إليها أكثر من ذلك اليوم.

لم يكن بوسعهم إعادة أسلوبه البارع والساحر في الرسم.

حجة مقنعة للموسيقار ووروك

كان ووروك رجلا في كايا (دولة إقطاعية دام وجودها في سافلة نهر راكدونغ من كوريا في الفترة ما بين أواسط القرن الواحد وأواسط القرن السادس

بعد الميلاد). وأثناء حياته أي في أواسط القرن السادس، اخترع آلة كاياغوم الموسيقية، وأبدع كثيرا من الألحان الموسيقية. لكن حكم دولة كايا انحرف، حتى ظهرت بوادر دمارها. ومن هنا، انتقل ووروك بآلته الموسيقية إلى بلد سيلا.

استقبله ملك سيلا بترحاب، وجعله يحيا حياة مستقرة، وأتبع له الموسيقيين، ليتعلموا منه.

علمهم ووروك طريقة العزف على كاياغوم، واختار أفضل الألحان ودربهم على عزفها، وجعلهم يعزفونها على كاياغوم أمام الملك.

استمتع الملك إلى الموسيقى، مع كبار الموظفين، وسرّ سرورا عظيما، بعد أن أعجب بجمال ألحانها.

ذات مرة، قال أحد الرعايا الخسيس للملك:

- أرى، يا صاحب جلالة الملك، أن ألحان الموسيقى المنبعثة من كاياغوم قد أفلست بلد كايا، فلا يجوز التشجيع عليها.

لقوله هذا، لم يتمالك ووروك سخطه الفوار، فتقدم إلى الملك وقال:

- منذ أقدم العصور، كان الناس يبدعون ألحان الموسيقى للنقل أو التعبير عن غبطتهم أو حزنهم، لأنهم لا يستطيعون التعبير عنها بالكلام أو الأفعال وحدها. وما دام الأمر هكذا، فكيف تستطيع هذه الموسيقى أن تكون بواعث دمار البلد. إذا صارت الموسيقى بواعث انحطاط البلد ودماره، فذلك يعني أن الموسيقى تنعدم في بلد مزدهر، وتوجد في بلد منهار وحده. أرى أن ازدهار البلد أو انحطاطه لا مرتهن بالموسيقى، بل إنه مرتهن بكيفية استخدامها. أرى أن البلد المزدهر يصيب في استخدام الموسيقى، ويسيء البلد المنهار إلى استخدامها.

لقوله هذا، احمر وجه الرعية الخسيس حتى بقي واجما، ووافق الملك على قوله، وقال:

- كلامك صحّ. إن دمار كايا لا يعود سببه إلى الموسيقى بل إنه يعود إلى ملكها الذي أساء إلى سياسته، لوقوعه في هوة الفجور والدعارة.

ومنذ ذلك الحين، شجع الملك أكثر على غاياكوم من صنع ووروك.

شاعر نهر دايدونغ

جونغ جي سانغ (؟ - عام ١١٣٥) من مواليد بيونغ يانغ، كان بارزا منذ طفولته في موهبته الشعرية. قيل إنه حين كان عمره ثالثة، رأى نورسا يحوم في السماء فوق نهر دايدونغ، وهو على ظهر أمه الذاهبة إلى النهر لغسل الثياب، ونظم قصيدة تالية:

يحوم النورس الأبيض في السماء،
ويغني رافعا رأسه إلى السماء،
وزغبه الأبيض يطوف على سطح الماء
وقدماه الحمراوان تطآن المياه الصافية

حين طارت شهرته في الدنيا لموهبته الشعرية التي قل نظيرها، بعد أن كبر، راح يحسده كيم بو سيك (١٠٧٥ – ١١٥١) الذي كان يدعي بأنه قطب أدب في ذلك العهد.

ذات مرة، ذهب هذان الرجلان إلى المعبد في النزهة، وتسابقا في نظم الأشعار، ومنذ ذلك الحين، اشتد حسد كيم بو سيك له. في ذلك الحين، نظم جونغ جي سانغ شعرا تاليا:

بعد أن أنهيت من الصلاة في المعبد،
رأيت السماء صارت صافية كزجاجة

تعجب كيم بو سيك كثيرا بهذا الشعر، وطلب منه أن يعطيه له. لكن جونغ جي سانغ هز رأسه رفضا.

استشاط كيم بو سيك غيظا، حتى أضمر له الشر للقضاء على هذا الشاعر المتفوق عليه.

في الفترة اللاحقة، استفاد كيم بو سيك فرصة وقوع تمرد ميوتشونغ (انقلاب أثاره نبلاء بيونغ يانغ ضد نبلاء كايسونغ، للتنازع على السلطة في عام ١١٣٥)، واتهمه بالتواطؤ مع ميوتشونغ (؟ - ١١٣٥)، وحرص على إعدامه.

بعد إعدام جونغ جي سانغ، صار كيم بو سيك يتملكه غرور، قائلا في نفسه إن أي شاعر في هذه الدنيا لن يجاريه الآن.

ذات يوم من ذلك، نظم بيتا من الشعر، وتباهى به قائلا إنه أروع شعر في الدنيا.

ألف غصن من أغصان الصفصاف خضراء
عشرة آلاف زهرة من زهور الخوخ حمراء

في ليلة هذا اليوم، تلا كيم بو سيك شعرا شعره بوحده، طربا من نفسه، حتى غرق في النوم، ورأى في الحلم أن الميت جونغ جي سانغ ظهر أمامه كما هو حي، وصفعه وهو يوبخه قائلا:

- هل عددت حقا عدد أغصان الصفصاف وعدد زهرات الخوخ؟ هذا

الشعر الحقير هل نظمته أنت؟

هكذا، انهال عليه جونغ جي سانغ كل الشتائم، وأمسك بالريشة، وصحّح شعره كما يلي:

كل غصن من أغصان الصفصاف أخضر.
كل زهرة من زهرات الخوخ أحمر

حين قرأ كيم بو سيك هذا الشعر المصحح، احمرّ وجهه خجلا، حتى لم ينبس بكلمة واحدة.

قيل إن كيم بو سيك كان يشعر دائما بقلق وخوف لقتله شاعرا بارزا يتفوق عليه حتى مات فجأة قبل أوانه في بيت الخلاء.

"إياك أن تقلق على الفقر"

كان هام يو إيل رجلا في عهد كوريو (دولة إقطاعية كورية بقي وجودها في الفترة ما بين عامي ٩١٨ و١٣٩٢)، وقد اشترك بوصفه أدنى موظف عسكري في عديد من المعارك ضد غزو المعتدين، وحقق فيها مآثر كبيرة، حتى صار ضابطا، وارتقى أخيرا إلى منصب حراسة البلاط الملكي.

ذات يوم، خرج الملك من البلاط، لمشاهدة تدريب العساكر على الفنون القتالية، وأقام مباراة الموظفين العسكريين للرمي بالقوس على الجائزة الكبيرة.

في هذه المباراة، فاز هام يو إيل بالمرتبة الأولى دون منازع له، حتى نال

جائزة مؤلفة من قطع الذهب الكثيرة ولفائف الحرير.

سمع أولاده هذا الخبر في الشارع، وهرولوا إلى المنزل ليخبروه لأمهم.

- يا أماه، قد حل حدث مبارك في أسرتنا!

- أي حدث مبارك تقولونه، يا أولادي؟

- فاز أبونا بالمرتبة الأولى في المباراة على الفنون القتالية، حتى منحه الملك كمية كبيرة من قطع الذهب ولفائف الحرير كجائزة.

- أهذا حقا؟

- أجل، يغلي الشارع كله بهذا الخبر الآن.

- أ لم تخطئوا السمع، يا أولادي؟

- كلا، سمعناهم يقولون اسم والدنا بالفعل. كما أنهم قالوا لنا إنكم أبناؤه، ما أعظم سروركم!

- قالوا هكذا؟

- ثم إنهم قالوا لنا إن والدكم رجل صادق ومجتهد لا يعرف إلا الشؤون العسكرية، حتى أعجبت به السماء أيضا، وجعلته ينال هذا الشرف.

- قالت إحدى العجائز لنا إنكم أصبحتم الآن أكثر سعادة في الدنيا. تلك الكميات من الذهب والحرير كافية لعيشكم دون العمل حتى لعدة الأجيال منكم.

إذ قال ابنها وابنتها بالتناوب ما سمعاه في الشارع، صارت زوجة هام يو إيل أيضا تصدق قولهما إلى حد ما.

فانهمرت الدموع من عينيها متأثرة وهي تقول: حلت بركات الآن في أسرتنا.

- هل تبكين الآن، يا أماه؟

قالتها البنت وهي ترتمي في حضن أمها.

-لا، لفرط من السرور.

- لا، إنك بكاءة. في السابق أيضا بكيت مقلقة من عدم وجود أملاك لازمة لزواج أخي الذي يكبر، والآن أيضا، تبكين حتى عند توفر الذهب والحرير لنا.

- كلامك صحيح، ربما صرت بكاءة حقا.

- لا تبكي الآن يا أماه. إن لدينا الآن ثروات لازمة لزواج أخي أيضا.

- الحق معك. صارت لنا أملاك ليست لزواج أخيك فقط بل لزواجك أنت أيضا.

- لأملاكي أيضا؟... يا فرحاه!

بعد ما بقي الأخ يترقب أخته الصغيرة تتدلل على ركبة أمها، ابتسم ابتسامة باهتة، ووبخها قائلا:

- كفاكِ، ما هذا الكلام؟ هل تظنين أن الملك منح هذه الجائزة لأبينا لاستخدامها لزواجنا.

ثم قال لأمه كلاما رجوليا:

"يا أمي، أرى أنه من الأفضل تفصيل ملابس الأب والأم أولا بهذه الجائزة التي نالها أبي. كنت خجلا لارتداء أبي ثوبا غير لائق به. ما دام أبي موظفا يتردد على البلاط الملكي، يجدر به أن يرتدي ثوبا فاخرا مثل الآخرين.

الحق معك.

كما أني أقترح ببناء بيتنا أيضا بحجم أكبر، ونضع فيه عدة الخيول، ونشتري الحقول أيضا مثل الآخرين.

كلامك هذا أيضا صائب.

كما أني أرى أنه علينا أن نزيد الممتلكات، حين يكون أبي في وظيفة مرتبطة بخدمة القصر الملكي، ومن دون ذلك، إذا صار أبي مريضا أو أبعد عن

وظيفته، فإننا سنصبح فورا فقراء.

- متى عرفت هكذا شؤون حياة الدنيا؟

- لم لا؟، يفعل الآخرون أيضا هكذا.

- حسنا، لنبحث جيدا، إذا عاد أبوك.

- لا داعي لذلك. قولي أنتِ جيدا يا أمي.

- أنا لا مانعة. يا سلام! ماذا أفعل. سرعان ما تميل الشمس. سيعود أبوك لتوه.

- يا أمي، هيا أطبخي أطيب الأطعمة، ولا تنسي ذبح الدجاج أيضا. وفي أثناء ذلك، سأنظف فناء البيت.

- صدقتَ. لنستقبل بذلك أبيك في جو من السرور.

هكذا، انصرف كلهم مسرعين إلى عملهم، ليكنس الأخ فناء، وتنظف الأخت غرفة، وتطبخ الأم أطعمة.

حين صار الأفق أصفر، بعد غروب الشمس، دخل هام يو إيل بوابة البيت.

- ها قد جاء أبي!

لصياح الابن الذي كان يكنس فناء، أسرع جميع أفراد الأسرة إلى الفناء، وأحنى الابن والابنة ظهريهما للأب تحية له، بالبوابة وقالا:

- نهنئ بشرفك، بابا!

- سمعتما أيضا هذا الخبر.

عانق الأب كليهما بذراعيه في سرور. استقبلته زوجته أيضا بترحاب قائلة:

يا له من حدث مبارك كبير حل في أسرتنا.

إني تلقيت هكذا بركات مفاجئة لم أتوقعها.

حين دخلوا الغرفة، ابتدر الابن يسأله.

- هل يصح القول إن الجائزة كانت كبيرة جدا اليوم؟

- أجل، تكون كمية كبيرة من قطع الذهب ولفائف الحرير. تسلمت مثل هذه الجائزة الكبيرة لأول مرة في حياتي. كان جميع الناس يعجبون بها، ويشتهون عليها.

- متى تجيء بها إلى البيت؟

- لا، لا يجوز الإتيان بها إلى البيت.

- ماذا؟

استغرب الجميع بقوله، وسألته الابنة:

- أهي جائزة نلتها، يا أبي؟

- منحها لي الملك.

- لماذا إذن لا يمكن إحضارها إلى البيت؟

- رغم أنها صارت ممنوحة لي، لا يجوز أن آخذها. قد قررت أن أبيع الذهب، لأبدل بماله أدوات الطبخ القديمة للعساكر بالجديدة، وأبيع الحرير أيضا لأكسي بماله عساكرنا ولو بثوب واحد، وأجدّد لباسهم المموه أيضا.

لهول المفاجأة، لم يجد أفراد الأسرة كلاما، حتى بقوا واجمين.

حين رأى هام يو إيل سيماء وجوه أفراد أسرته تغيرت فجأة، سألهم:

- ماذا بكم؟ يبدو أنكم غير راضين بما قررته.

ردت عليه الزوجة بنبرة باكية وهي تذرف الدموع:

- أنت تتجاوز الحدود يا زوجي! يشغل الأولاد بالهم لإعداد سند معيشتنا العتيد أثناء حياتك. ولكن اهتمامك بشؤون المنزل أقل مما في أولادنا.

- أوه، هذا هو السبب.

وأردف قائلا وهو يجول بناظريه بين أفراد أسرته:

"يا زوجتي، كما تعرفين أني قد ولدت في أسرة فقيرة، ولكني كنت أعيش حتى الآن دون مساعدة الآخرين. إن الفقر ليس أمرا يقلقنا، ما دمنا نعيش دون فقدان روحنا المحبة للوطن والأمة. يكفينا الأمر بمجرد عيشنا باجتهاد ونزاهة. أكبر قلق لي هو عدم غرس هذه الروح في أذهان أولادي، لا توريث أملاكي إليهم.

لم يجب أحد من العائلة، والتزموا جميعا بالصمت.

ربما أمضوا طول الليل هكذا صامتين، إذا لم يتدفق إليهم الجيران والأصدقاء والعساكر، حتى اكتظ الفناء بهم، وتتعالى منه أصوات تهانيهم بصاحب هذه الدار.

الزوجان النزيهان

في عهد الملك ويجونغ في كوريو، كان يو وونغ كيو يشغل منصب حاكم بلدة نامكيونغ. في ذلك الحين، كان حكم الدولة يزداد فسادا يوما بعد يوم، لأن الموظفين الحكوميين كانوا ينهمكون في القيل والقال بدعوى دراسة الأدب ويقضون الأيام بألعاب فاجرة، وأسوأ من ذلك، كان كل من عيّن كحاكم محلي يضع عينيه على كسب الأموال والأملاك لنفسه، حتى نهب ثروات الشعب جزافا.

في هذا الوضع القذر، كان وجود موظف نزه مثل يو وونغ كيو أشبه بهبة ريح صافية في الجو الكئيب.

حين عيّن يو وونغ كيو لتوه كحاكم البلدة، هاج وماج الموظفون التابعون له لإرضائه.

في غضون ذلك، أتى إليه أحد الموظفين بالرشوة من المال، وقدمها له.

- كم مبلغها؟

- لا كبيرا.

- إذن، كنتم تعتادون على دفع هذه الهبات حتى الآن إلى رؤسائكم بما نهبتموه قسرا من ثروات عامة الناس. أليس كذلك... إذا فعلتم مثل هذه الأفعال أكثر من الآن، فإني لن أغفركم.

بعد أن تعرض الموظف لتوبيخه الشديد هذا، هرول للعودة بالمال، ومنذ ذلك الحين، لم يدفع له أحد أموالا.

في الفترة اللاحقة، حدث له أمر تال.

بعد أن شفيت زوجته من ورم الثدي، فقدت شهيتها حتى بقيت صائمة، لكن حالة الحاكم المالية لم تكن مسموحة حتى بشراء قطعة لحم أو سمكة طازجة واحدة.

بعد أن عرف أحد الموظفين النبيه هذا الوضع، جاء بما حصل عليه من الدراج إلى منزل الحاكم، وقدمه للخادم، وطلب منه عدم النطق بحقيقة الأمر وإعطاءه للسيدة وجعلها بكل وسيلة تتناول لحمه.

دخل الخادم به إلى زوجة الحاكم، وقال لها بالكذب إنه حصل على دراج، بعد أن التقى بقريبه، وحاول الخروج منها. لكن زوجة الحاكم أوقفته، وطلبت منه بلهجة صارمة إرجاعه، واضطر الخادم إلى مصارحة تفاصيل الأمر.

بعد أن سمعت زوجة الوالي كلامه، قالت مبتسمة.

- إني أفهم خاطرك ووفاءك، كما أني ممتنة لذلك الرجل الذي أرسل دراجا إليّ، مهتما بي، لكن شهيتي لا تفتح بمجرد تناول لحم الدراج. وأكثر من ذلك، لا يمكنني أن أشوه نزاهة السلوك التي التزم بها زوجي حتى الآن، بمجرد استمتاعي بالترف المؤقت. ولذلك، إرجعها حالا.

أعماق الجبل، وأصبح راهبا بوذيا بعد قص شعره.

في ذلك الحين، أرسل الملك سيجو (الملك السابع لدى كوريا من السلالة الملكية الإقطاعية في الفترة ما بين عامي ١٤٥٥ - ١٤٦٨) الذي اعتلى على العرش بعد طرد الملك دانجونغ (الملك السادس في الفترة ما بين عامي ١٤٥٣ - ١٤٥٥) من العرش، أرسل تابعَه مرارا إلى كيم سي سوب، ليطلب منه أن يشارك في إدارة شؤون الدولة، لكن سي سوب رفض ذلك بعناد حتى النهاية.

كتب كيم سي سوب نيته إلى صديقه كما يلي:

- يتناقض أنا وهذا العالم بعضا لبعض، ويشبه ذلك بمن يسعى إلى غرز العود المربع في الثقب المدور. فلا يسعني إلا أن أمضي أياما، فيما أنا أتجول في أرجاء البلاد.

بعد أن قرأ أصدقاؤه والناس رسالته هذه قالوا متحسرين:

- عرفنا أن ذكاءه يتألق في أشعاره وجمله، لكن بريقه يزداد في عمق رؤيته للعالم الأغبر.

طفل في الخامسة من عمره أوقف الموكب

حدث ذلك في أحد الأيام الربيعية في قرية سوكامزونغ في قضاء كيمبو بمحافظة كيونغكي، أثناء عهد الملك ميونغجونغ في كوريا من السلالة الملكية الإقطاعية (الملك الثالث عشر في الفترة ما بين عامي ١٥٤٦ - ١٥٦٧).

كان عديد من أطفال القرية يقرؤون الرموز الصينية الألف، تحت ظل الشجرة القائمة على الرابية بجانب الطريق الواسع في قرية سوكامزونغ في

قضاء كيمبو بمحافظة كيونغكي. في ذلك الحين، اقترب منهم موكب مهيب وفخم يستقله الموظف الكبير سائرا على الطريق. وهب الأولاد واقفين، وانطلقوا جارين إلى الطريق بعد أن أوقفوا قراءة الكتب ليشاهدوا الموكب الفاخر. لكن الطفل الذي بدا أنه نحو خامسة من عمره، ما برح يقرأ في جلسته، دون أن يلتفت إليه.

بعد أن رأى الموظف أثناء مروره طفلا يقرأ بوحده على الرابية، أعجب بفعله الجميل، حتى نزل من الموكب، ودنا إليه، وسأله:

- يا بني، لماذا بقيت جالسا بوحدك، طالما أن الأولاد الآخرين ذهبوا لمشاهدة الموكب؟

رفع الطفل عينيه إلى الموظف، ورد عليه بجرأة:

- قال لي أبي ألا أشغل بالي إلا قراءة.

تعجب الموظف بجواب الطفل، حتى لم يستطع أن يغادر المكان، فسأله أين بيته ومن هو أبوه، وتوجه إلى أبيه، وقال له:

- ابنك ليس طفلا عاديا. إني أؤمن بأن عالما حقيقيا آخر سيظهر في بلدنا في المستقبل.

هكذا، غادر المكان بعد إطراء ابنه.

كان اسم هذا الطفل الذي أعجب به الموظف جو هون. قد ولد من أبيه وونغ جي وأمه تشواي، في قرية سوكامزونغ بقضاء كيمبو، في يوم ٢٨ من يونيو/ حزيران عام ١٥٤٤. ومنذ صغره، كان رجوليا وبارا جدا بوالديه. كان يفضل الاعتناء بشؤون المنزل مساعدا لوالديه، على اللعب مع الأولاد في القرية.

حين بلغ عمره عاشرة، فارقت والدته الدنيا، وكان مُجدا وصادقا جدا في إقامة جنازتها وقضاء أيام حدادها، حتى أعجب به جميع القرويين. ومنذ العاشرة

- لكن يا سيدتي، ليس هذا نوعا من الهبات، بل إنه ما قسمه من طيور الدراج الكثيرة التي حصل عليها صدفة، على ما قاله. ليس من العيب تقاسم الأطعمة بين الجيران.

- ليس من العيب طبعا تناول الطعام الذي أعطاه الجار، إذا لم يكن زوجي على منصب الحاكم.

لم يكن بوسع الخادم إلا الذهاب بالدراج إلى ذلك الموظف، وأرجعه إليه.

بعد أن عاد الخادم، تنهد الموظف بعمق قائلا:

- إذا كان عشرة رجال مثله في هذا البلد، فما أكثر من شؤون البلد تجري على وجه الصواب.

يكون في الدنيا الكثير والكثير من الناس الذين دمروا مصيرهم بعد أن أعماهم الطمع، وبالمثل، كثيرون أيضا أولئك الناس الذين أفلسوا مصيرهم بسبب مساوئ زوجاتهم. نزاهة سلوك يو وونغ كيو كانت يحافظ عليها بدعم جمال ونقاء قلب زوجته.

شاعر بكى في بيونغ يانغ وغادرها

كان كيم هوانغ واون (١٠٤٥ – ١١١٧) شاعرا مشهورا في عهد كوريو، وقد ترك وراءه كثيرا من الأشعار والقصائد التي تغني بجمال المناظر الطبيعية، ذلك بتأليفه لها أثناء ارتياده لأشهر معالم البلد.

في صيف أحد الأعوام، صعد كيم هوانغ واون جوسق بوبيوك في جبل موران حيث يطل على الجبال والسهول الجميلة في بيونغ يانغ، دون أن يعترض

أي شيء رؤيتها، وظل يسرح بنظره صوب نهر دايدونغ الصافي والأزرق الذي ينساب ملتفا حول جرف تشونغريو وسور بيونغ يانغ، وسهول دونغدايواون مترامية الأطراف، التي يخيم عليها الضباب الخفيف، حتى وقف دون حراك لبرهات، يتأملها مسحورا بمناظرها الخلابة.

- يا له من مناظر جميلة تنفرد في الدنيا.

هكذا، هتفها، دون أن يتمالك نفسه من شدة إعجابه بجمالها.

حين انتشر خبر بمجيء شاعر مشهور إلى بيونغ يانغ، سرعان ما توافد الموظفون والمثقفون في بيونغ يانغ بجموع إلى جوسق بوبيوك، للقاء كيم هوانغ واون. ورجوا منه بالإجماع أن يترك لهم شعرا رائعا يغني بجمال بيونغ يانغ.

ألقى كيم هوانغ واون نظرته إلى لوحات الأشعار التي تعلق على أعمدة الجوسق وسقفه دون نظام، قطب وجهه، وأعرب عن حسرته، لأن جميعها لا تصف مناظر بيونغ يانغ كما هي عليه.

فطلب من الموظفين والمثقفين الحاضرين أن يزيحوا تلك الأشعار الحقيرة كلها، طالما أنه سيترك لهم شعرا عن روعة جمال بيونغ يانغ.

وقف كيم هوانغ واون لبرهات يفكر في الشاعرية وهو يتكئ ذراعه على عمود الجوسق، وطلب أخيرا إحضار الريشة، وبدأ يلوّح بالريشة بين جموع الناس، حتى كتب:

تتراقص أمواج مياه النهر في طرف واحد من السور الطويل
تنتصب الجبال بشموخ في شرق السهول مترامية الأطراف

كتبها الشاعر دفعة واحدة، ولكنه يا للغرابة، تسمر في مكانه دون تحريك

الريشة. بعد أن أطل لبرهات على أسفل الجوسق، ممسكا بالريشة، وحاول الكتابة على لوحة الحرير، لكن الريشة ازدادت تسمرا. إذا ألقى نظرة إلى مياه نهر دايدونغ الصافية الزرقاء في بعد بعيد في أسفل جوسق بوبيوك، أوحى إليه بأنه واقف على جوسق "قصر التنين البحري" الذي ينتصب على سطح مياه البحر، وإذا ألقى نظرة إلى سهول دونغدايواون البعيدة التي يخيم عليها الضباب، أحس كما لو أنه واقف بجانب درابزين "قصر السماء" العائم على السحب. تلك المناظر الخلابة التي تتجدد كلما رآها مرة بعد مرة، لم يكن بوسعه أن يصفها ببعض الأبيات من الشعر.

لقد مضت أوقات طويلة، منذ بقي دون الكتابة، بعد أن كتب بيتين من الشعر، وكانت قطرات العرق تتساقط من جبينه لتبلل لوحة الحرير، فإن الناس راحوا ينصرفون واحدا بعد الآخر بهدوء.

حين مالت الشمس إلى المغيب، وحلّ الغسق، وجد الشاعر نفسه جالسا بوحده في الجوسق، فقطع ريشته، وبكى بحسرة وهو يضرب الأرض بقبضة يده، وقال:

- ويحي أنا، تنقصني موهبة لوصف روعة جمال بيونغ يانغ.

هكذا، بقي الشاعر يبكي حتى وقت متأخر من الليل ثم غادر المكان.

بعد ذلك، علق أهل بيونغ يانغ لوحة البيتين من شعره غير المكتمل هذا على عمود جوسق بوبيوك، لتتناقل إلى الأجيال القادمة. واليوم، نقلت هذه اللوحة إلى جوسق ريونكوانغ (الواقع في حارة دايدونغمون بحي زونغ في مدينة بيونغ يانغ) ، وعلقت على عموده.

ذلك ليس لروعة شعره غير المكتمل، بل للمفاخرة جيلا بعد جيل بجمال بيونغ يانغ الذي لم يستطع حتى الشاعر المشهور أن يصفه لنقص كلماته الشاعرية.

سهم مغروز في شفة

حدث ذلك، حين ناهز عمر تشواي يونغ (١٣١٦ – ١٣٨٨)، القائد العسكري الشهير في كوريو سبعين سنة.

في تلك الفترة، كان القراصنة اليابانيون يتسللون من حين لآخر إلى سواحل بحر كوريا الجنوبي، وأقدموا على قتل الناس الأبرياء ونهب ثرواتهم.

فقد أرسلت كوريو القائد باك إين كيو لإفنائهم، لكنه خسر في القتال، وسقط هو الآخر شهيدا.

على ذلك، صار القراصنة اليابانيون أكثر وقاحة، حتى ازدادت اعتداءاتهم يوما بعد يوم، مما يلحق أضرارا جسيمة بأهالي سواحل البحر الجنوبي.

حين سمع القائد تشواي يونغ هذا الخبر، انطلق بجرأة إلى قتال الأعداء، رغم أنه كان طاعنا في السن.

في البداية، لم يسمح الملك بانطلاقه اعتبارا لكبر سنه.

لكنه طلب بعناد إرساله. فإن الملك سمح بذلك.

بعد أن وصل تشواي يونغ إلى ساحل البحر الجنوبي، أعاد ترتيب صفوف الجيش. وحين انطلق بقيادتهم إلى القتال، كانت مقاومة القراصنة أشد مما توقع.

أمر القائد تشواي يونغ بقرع الطبول، للبدء بهجوم الجنود. لكنهم كانوا مترددين، دون أن ينطلقوا إلى الهجوم، لأن السهام التي يطلقها الأعداء معتمدين على الغابة والصخور تتدفق إليهم كوابل من الأمطار.

بعد أن رأى القائد تشواي يونغ هذا المشهد، عض شفتيه. في الواقع، كان الوضع غير صالح له.

طبعا، كان من الممكن التجنب مؤقتا من الاشتباك، والبدء بالهجوم في الفرصة السانحة الأخرى. لكن تشواي يونغ لم يعد أمره، لأن ذلك سيزيد معنويات القراصنة المتهورين ولو مؤقتا، وأسوأ من ذلك، سيصبح جنوده معتادين على التردد في الحالة الحرجة.

فإن القائد تشواي يونغ صاح لجنوده:

- اتبعوا ورائي!

واندفع جاريا على صهوة الجواد إلى موقع العدو، وهو يطلق السهام إلى الأعداء.

في هذه اللحظة، تركزت عليه السهام التي يطلقها العدو، وانغرز أحدها في شفته، حتى سال منها الدم الأحمر القاني. ومع ذلك، لم يلتفت تشواي يونغ ذلك السهم المنغرز في شفته، بل واصل إطلاق سهامه، وأصاب كل سهمه جنود العدو.

وراح الأعداء يفرون مذعورين، بينما كان جنود كوريو ينقضون على موقع العدو، صائحين بمعنويات عالية. أخيرا، هرب الأعداء جميعا دون مقاومة. بعد أن رأى تشواي يونغ القراصنة يهربون تاركين وراءهم الأقواس والسهام، نزع حينئذ فقط السهم المغروز في شفته.

بعد أن صد تشواي يونغ هكذا مقاومة القراصنة الأولى، قال لجنوده:

- إذا صار الجنود المشاركون في القتال مذعورين قبل العدو فكيف يمكنهم أن يقاتلوه؟

لم يرفع الجنود رؤوسهم خجلين، وعرفوا أحد أسرار ربح قائدهم تشواي يونغ في كل المعارك.

هكذا، كان القائد تشواي يونغ يفوز بالنصر في كل المعارك ضد الأعداء

الأجانب، بمنتهى جرأته التي قل نظيرها وروحه للتضحية بنفسه، إلى جانب تكتيكاته البارزة التي لا يجاريها أحد.

رجل حكيم معترف به بعد عشر سنوات

حدث ذلك في أحد الأيام من الشهر التاسع القمري عام ١٥٨٢، قبل عشر سنوات تماما على نشوب حرب إيمزين الوطنية (حرب مناهضة للعدوان خاضها الشعب الكوري ضد الغزاة اليابانيين في الفترة ما بين عامي ١٥٩٢ و١٥٩٨).

في جلسة البلاط الملكي، اقترح الوزير اليميني لي إي (١٥٣٦ – ١٥٨٤) للملك بما يلي:

- يا مولاي، أرى أن الوضع الحالي في اليابان غير عادي، فضلا عن سوء وضع منطقة الحدود الشمالية في بلادنا. في رأيي أن مصيبة انهيار البلد قد يحل في بلادنا قبل مرور عشر سنوات. فأرجو منكم أن تعدوا من الآن ١٠٠ ألف جندي من القوات.

- إعداد ١٠٠ ألف جندي؟

على قوله رد الملك بسؤاله، وعلى وجهه سيماء الريبة.

كان سؤال الملك هذا يعني ما هذه السفسطة عن إعداد الجنود فجأة، بينما كنا نبحث قبل قليل عن "فضيلة" و"آداب السلوك" من أقوال الحكماء القدامى. لكن لي إي ظن أن الملك يريد المعرفة باقتراحه بالتفصيل، فواصل شرح اقتراحه:

- بغية تأهيل ١٠٠ ألف جندي، يجب وضع ٢٠ ألفا منهم في العاصمة،

و١٠ آلاف جندي في كل من المحافظات. وينبغي تدريب الجنود المستجدين لمدة ستة أشهر بالتناوب. هكذا، إذا حرصنا على الدفاع عن أسوار العاصمة والمناطق المحلية، في آن مع تدريب الجنود بالتناوب، ففي وسعنا مواجهة أي حدث من أحداث الطوارئ بسهولة، بإطلاق ١٠٠ ألف جندي من الجنود المتدربين. وإذا وقع أي حدث طارئ لاحقا، حين نبقى هادئين دون أن نفعل هكذا، فإننا سنضطر إلى دفع عامة الناس غير المتدربين بعجلة إلى القتال، وسيفوتنا الوقت عندئذ.

لم يكن بوسع الملك أن يرد على اقتراحه، إذ أن ذلك كان أمرا خارج تصوره، فبقي جالسا لبرهات دون جواب، ويرف له جفن، وسأل كبار الموظفين الجالسين.

- ما رأيكم في اقتراح الوزير اليميني؟

بما أن هذا الأمر كان خارج تفكير كبار الموظفين أيضا شأنهم شأن الملك، فلم يتقدم أحد منهم، حتى ران الصمت لبرهات.

- أ رأيكم أيضا هو رأيه؟

حين حثهم الملك هكذا على جوابهم، انطلق أحدهم اسمه ريو سونغ ريونغ (١٥٤٢ – ١٦٠٧) وقال:

- طبعا إن اقتراحه صائب، لكن لكل أمر أوانه. فإني أرى أن اقتراحه غير مناسب في زمننا الهادئ والمسالم. إذا باشرنا في هذا الزمان فجأة العمل لإعداد ١٠٠ ألف جندي، فسنضايق مواطني البلاد كلها، مما يجلب مصيبة عكسا لنيتنا.

بعد أن سمع الملك قوله، جال ببصره بين الحاضرين، ورأى في وجوههم سيماء موافقتهم عليه، فقال:

- اقتراح الوزير اليميني بإعداد الجنود غير لائق بالأوان، فإني لا أوافق عليه.

بعد اختتام الجلسة، قال لي إي لصديقه ونظيره في المنصب الرفيع أيضا ريو سونغ ريونغ:

- إذا قال مثلك أي مثقف عادي آخر ينهمك في قراءة الكتب القديمة وحدها فلن ألومه لجهالة الوضع السياسي الحالي. ولكن هل يجدر بك أنت الموظف الكبير أن تتفوه بذلك الكلام؟ حتى المزارع العادي يعيش متطلعا إلى السنة. إلا أنك أنت الذي تشارك في شؤون الدولة لا تستشرف ما بعد عشر سنوات. أ لست مخجلا؟

لقوله هذا، احمرّ وجه ريو سونغ ريونغ، حتى وقف واجما دون أن يجد كلاما ينطق به.

بعد مضي عشر سنوات بالضبط من ذلك، أي في عام ١٥٩٢، انفجرت فعلا حرب إيمزين الوطنية التي أشعل الغزاة اليابانيون نيرانها.

عندئذ فقط، غطى ريو سونغ ريونغ وجهه بين يديه، وقال متنهدا:

- أواه، حقا، كان لي ريول كوك (اسم مستعار للي إي) رجلا حكيما تنبأ بهذا اليوم.

تاب ريو سونغ ريونغ نفسه على رفضه لاقتراح لي إي في ذلك الحين. لكن ذلك قد فات أوانه. وقد فارق لي إي الدنيا، وبقي ريو سونغ ريونغ وحده قيد الحياة، حتى ذلك الحين، وهو يتضور ألما للتوب على نفسه.

مصدر تسرب الأسرار

ذات يوم في حوالي عام ١٤٣٧، صرخ الملك سيجونغ غاضبا في وجوه الوزراء:

- ما هذا الأمر؟ قيل إن كل التقارير المختومة المرفوعة من مناطق الحدود الشمالية تتفشى محتوياتها في شوارع العاصمة قبل وصولها إلى البلاط، والأوامر السرية الصادرة من البلاط تدور محتوياتها بصخب في حدود الشمال، قبل وصولها إلى حاكم محافظة هامكيونغ. هل في الدولة نظام وانضباط؟

كان هذا الوضع كافيا لإثارة حنق الملك وصراخه.

في ذلك الحين، اتخذت الدولة مختلف الإجراءات لصد اعتداءات الأعداء الأجانب والدفاع عن مناطق حدود الشمال منهم مثل بعث القائد المرموق كيم جونغ سو (١٣٩٠ - ١٤٥٣) إليها، بعد تعيينه كقائد الدفاع عنها.

ولكن، إذا رفع كيم جونغ سو تقريرا عن وضع العدو في مناطق الحدود، فإن هذا الخبر انتشر واسعا في أرجاء العاصمة، قبل وصوله إلى الملك، حتى شاعت إشاعات يقول بها الناس بصخب كل منهم بتهكنه الذاتي على غرار أن الدولة ستجند عددا كبيرا من الجنود، وستندلع حرب عن قريب، وإذا أرسل الملك أمرا سريا خاصا بكبح جماح العدو إلى القائد كيم جونغ سو، فإن العساكر والأهالي في مناطق الحدود عرفوه قبل القائد، وراحوا يتهامسون به، وحتى الأعداء أيضا عرفوه، ليولوا هاربين مسبقا أو يتخذوا إجراءات الدفاع. فما أعظم أمر خطير.

فقال الملك للوزراء.

- سواء لعدم إفساد شؤون الدولة أو لإقامة انضباط الدولة، يجب اكتشاف مصدر تسرب الأسرار، وإحالة المتهمين بإباحة الأسرار إلى الحكم الصارم لتلقين جميع الناس درسا. فمن ذا يستطيع أن يكتشف هذا المصدر؟

ولكن من يستطيع أن يتقدم بثقة لحل هذا اللغز الذي لا يعرفه أحد إلا الله.

حين حث الملك على الجواب، التفت الوزراء إلى وجه كبير الوزراء هوانغ

هوي، بعد أن بقوا يتبادلون نظراتهم بعضا لبعض.

لم يجد هوانغ هوي بدا من التقدم خطوة إلى الملك، وقال:

- أرجوكم، يا حضرة الملك، أن تعطيني مهلة من الوقت لمدة عشرة أيام للعثور عليه.

بعد أن أعطى هوانغ هوي وعدا بذلك للملك، رجع إلى البيت، دون أن يتبادل أي تشاور مع الوزراء الآخرين.

في صباح اليوم التالي، ذهب هوانغ هوي إلى المرحاض كعادته، وعاد منه غارقا في الغم من دون سبب حتى لم يتناول فطورا كما ينبغي.

بعد أن حدقت زوجته في وجهه لبرهات، سألته هل معتل صحته أم أي هم يضايقه. على سؤالها المتكرر، رد هوانغ هوي قائلا:

- يا لغرابة الأمر! حين هممت قضاء الحاجة في المرحاض، رأيت طيرا أزرق يخرج من بطني، وطار إلى الهواء.

- ماذا؟ هل خرج طائر أزرق من شرج الإنسان؟

- أجل، يا له من أمر غريب. على كل حال، سيكون الأمر سيئا لنا، إذا عرف الناس أن طيرا أزرق خرج من شرج كبير الوزراء. وإياك أن تقولي هذا للآخرين.

- ما هذا الكلام. أين أقول هذا، دع عن القلق.

في مساء هذا اليوم، كانت زوجة كبير الوزراء تعالج الغسيل مع الخادمة في الغرفة الداخلية، وفي أثناء ذلك، رف فجأة على ذاكرته قول زوجها بأن الطير الأزرق خرج من شرجه وطار، فضحكت في نفسها. لكن الخادمة ظنت أنها تضحك عليها، فسألتها بتكرار لماذا تضحك.

- يا له من أمر غريب لم أجده سابقا في الدنيا. حين كان السيد زوجي في

قضاء الحاجة في صباح اليوم، خرج نحو الطيران الأزرقان من شرجه وطارا إلى السماء.

- يا للدهشة! أتقولين طيرين أزرقين؟

- أجل، إياك ونقل هذا الكلام للآخرين.

- لا تقلقي، إلى أين أنقل هذا الكلام. ما دام هذا أمرا يخص بسيدي.

في ليلة هذا اليوم، ذهبت الخادمة مع زوجها إلى الفراش للنوم، وأثناء محاولة النوم، برق فجأة في خاطرها ما سمعته اليوم من القصة عن طير أزرق، حتى ضحكت في نفسها مكبوت الصوت.

أخطأ زوجها في الظن كما لو أنها تضحك لما عنّ لها ما كانت تستمتع بها من المتعة مع عشيقها الآخر. فطلب منها عنوة أن تصارحه.

لم تجد الخادمة بدا من رواية القصة عن الطير الأزرق.

- ماذا؟ أ طارت أربعة إلى خمسة طيور زرقاء من شرج السيد كبير الوزراء؟

- إياك أن تقولها للآخرين.

- لا تقلقي، أين أقولها.

في نهار اليوم التالي، كان زوج الخادمة يشرب الخمر مع زملائه في حانة السوق، ورأى أحد عصافير الدوري حط على النافذة، وطار. عندئذ، خطر بباله ما سمعه في ليلة الأمس من القصة عن الطيور الزرقاء، فقهقه في نفسه.

سأله الأصدقاء خوفا من إصابته بالجنون لماذا يضحك في نفسه.

بما أن الأصدقاء يتشككون به، اضطر زوج الخادمة إلى رواية القصة.

- أ هذه حقيقة؟ أ حقا أن عشرة طيور وأكثرها طارت من شرج السيد كبير الوزراء؟

- أرجوكم، يا أصدقائي، ألا تقولوا إطلاقا هذه القصة للآخرين. إذا قلتموها فإن أمر زوجتي ينكشف، فكيف تتحمل العقاب المفروض عليها.

- لا تقلق. نعيش نحن الفقراء على الواجب الأخلاقي. لم لا نحافظ على هذا السر.

بعد أيام من ذلك، أرسل الملك تابعه إلى خارج البلاط، ليطلع على عمل كبير الوزراء للبحث عن مصدر تسرب الأسرار. إلا أن التابع لم يستطع أن ينقل إلى الملك إلا خبرا بعدم عمله لعدة أيام. ولكن في ليلة أحد الأيام، أخبر الملك بالقصة عن الطيور الزرقاء، التي انتشرت على نطاق واسع في شوارع العاصمة.

- ماذا؟ أ طارت آلاف الطيور الزرقاء من شرج كبير الوزراء هوانغ؟

صرخها الملك مندهشا.

- يا للشؤم! إذن، لماذا لا يخبرني كبير الوزراء ذلك الأمر. يا للوقاحة!

أمر الملك باستدعاء هوانغ هوي حالا.

حين مثل هوانغ هوي أمام الملك، دققه في الأمر غاضبا:

- لماذا لا تنفذ أمري بالبحث عن مصدر تسرب الأسرار، وأسوأ من ذلك، لم لا تخبرني بغرابة الأمر عن آلاف الطيور الزرقاء التي طارت من دبرك؟

تقدم هوانغ هوي خطوة إلى الأمام، وقال:

- معذرة يا مولاي، لكني أعرف أن جلالتكم قد تلقيتم تقريرا عن مصدر تسرب الأسرار.

- متى رفعت التقرير إليّ؟ لم تدخل القصر في غضون هذه الأيام، أ ليس كذلك؟

- ذلك الطير الأزرق هو بالذات مصدر تسرب الأسرار، يا مولاي.

- ماذا؟ الطير الأزرق؟

للملك الذي بقي محيرا، روى هوانغ هوي ما حاكه من القصة عن الطير الأزرق.

- آه.. يعني إذن أن ذلك الطير الأزرق الواحد تكاثر إلى آلاف الطيور في ظرف عدة أيام، وانتشرت اليوم في كل الشوارع.

- أجل، يا مولاي، أرى أن السبب في تسرب أسرار الدولة وانهيار انضباطها يعود إلى جميع الموظفين المركزيين والمحليين الذين ينجبون الطيور الزرقاء كل يوم، مثلما فعلت أنا.

أمر الملك فورا بإخبار جميع الموظفين في أنحاء البلاد بتلك القصة عن الطير الأزرق، وقيل أن تسرب أسرار الدولة لم يحدث منذ ذلك الحين.

ذكاء كيم سي سوب

قيل إن كيم سي سوب (١٤٣٥ - ١٤٩٣) قرأ كتابا بوحده، منذ ثمانية أشهر من ولادته. ولذلك، أطلق عليه تشواي تشي وون الرجل من جيل جده اسم "سي سوب" بمعنى الموهوب بالشعر.

هكذا، لذكائه الخارق، أصبح بإمكانه منذ الثالثة من عمره أن ينظم أشعارا علما واضحا بمبادئ الأشياء. فيما يلي أحد الأشعار التي نظمها حين كان ثالثة من عمره، وتوارث حتى هذا اليوم.

أزهار الخوخ حمراء
أوراق الصفصاف خضراء

مال هذا الشهر الثالث الربيعي أيضا،
الندى المعلق على أوراق الصنوبر
هو اللآلئ المنظومة في الإبرة الخضراء

بما أن الخبر عن ذكاء كيم سي سوب انتشر على نطاق واسع، توافد عدد كبير من الناس إلى فناء بيته حتى لم يخل منهم. ذات يوم، زار إلى بيته وزير سابق يدعى هو جو بعد أن سمع خبره في وقت متأخر. حينذاك، كان عمر كيم سي سوب خامسة. رفع هو جو إلى الأعلى هذا الطفل الذي يلعب في الغرفة، وأجلسه أمام ركبتيه، وقال:

"يا بني، كما ترى إني رجل مسن، تفضل انظم شعرا تكريما لي أنا العجوز.

ما إن أنهى كلامه هذا، حتى تأمله مرة، وأخذ الريشة، وكتب دفعة واحدة بيتا من الشعر التالي:

الزهرة تفتحت على الشجرة العتيقة
فمن ذا يقول إن قلبه هرم

حين قرأ هو جو شعره، تولاه التعجب حتى ظل يرقبه بنظرة ساحرة، ورفعه فوق رأسه، ودار به دورة قائلا "يا له من أمر عجيب أراه لأول مرة في هذه الدنيا. ها أنت طفل نبيه خارق الذكاء حقا."

إلا أن كيم سي سوب هذا الذي أجمع الناس على إطرائه تخلى، بعد أن كبر، عن توقه إلى اجتياز امتحانات القصر الأدبية ليصبح موظفا كبيرا، ودخل في

من عمره، تعلم من كيم هوانغ. وحين حل الليل، كان يوقد النار على عود الشجرة، ويقرأ على ضوئها، وحين يعمل في الحقول نهارا، وضع الكتاب على المسند الذي أقامه في حافة الحقول، وقرأه في كل فسحة من الوقت.

بعد أن كبر، اجتاز امتحان القصر، حتى صار موظفا رفيعا في مدينة بونغسانغ. لكنه صار يعيش حياة المنفى، بعد أن رفع إلى الملك عريضة مطالبة بقطع العلاقات مع اليابان وتعزيز قدرة الدفاع الوطني لشدة سخطه لموقف اليابان المتغطرس، وحين انفجرت حرب إيمزين الوطنية لصد غزو اليابان، شكل جيش المتطوعين أولا وقبل الآخرين، وقاتل بقيادته الأعداء اليابانيين وسقط شهيدا في ساحة المعركة.

زوجة أيقظت وعي زوجها

في أحد أيام الصيف من عام ١٥٨٨، كان كواك جاي وو (١٥٥٢ - ١٦١٧) راقدا في الفراش دون حراك في الغرفة، حتى طلعت الشمس إلى كبد السماء. ربما كان أكبر خزي رجل متزوج هو تعرضه للوم أو ازدراء من أفراد عائلته أو جيرانه، بسبب زوجته. كان كواك جاي وو بالذات يتضور الآن ألما لهذا السبب.

قد توفيت زوجته الأولى كنيته جو مع الأسف بالمرض، ففي شتاء العام الماضي مع بلوغ الأربعين من عمره، تزوج مجددا من إمرأة كنيتها لي.

لكن من الغريب أن زوجته لي بدأت بالنوم في النهار كل يوم منذ اليوم الرابع من الزواج. طبعا إن أخذ قسط من القيلولة بعد تناول الغداء في الظهر

ليس عيبا كبيرا، لكن السيدة لي لم تكن بهذه الدرجة. فور انتهاء تناول الفطور، وضعت وسادة، واستلقت على أرضية الغرفة، واستغرقت في النوم، وفتحت عينيها بصعوبة، حين حل وقت الظهر، وبعد تناول وجبة الغداء كلها، رقدت في مكانها، ولم تلبث أن تشخر، وفي يوم من الأيام، كانت تنام من الصباح حتى المساء، دون تناول الغداء.

أصلا كان كواك جاي وو شهم الطبع ومتوقد الروح لمساعدة الآخرين، حتى كان له كثير من الأصدقاء. فمنذ شبابه، كان يمضي أيامه بنظم الأشعار واحتساء الخمور، فيما هو يتجول معهم هنا وهناك. بعد الزواج مع السيدة لي أيضا، لم يعرف أن زوجتها نوامة، لأنه لم يدخل الغرفة الداخلية في النهار إلا نادرا.

ولكن مع مرور الأيام، صار يسمع لوم أسرته وتقوّل الجيران على زوجته التي تنام بإفراط في النهار. ولكن بعد أن سمع هذه التقوّلات، تشكك من صدقها، فدخل في أحد الأيام غرفتها الداخلية عمدا، ورآها تنام في النهار. لكنه خرج منها دون أن يقول شيئا، ليراها منتظرا. ولكن حتى بعد مر الأيام وتغير الأشهر، لم تتحسن حالتها أبدا.

ففي هذا اليوم بعد مرور مائة يوم، لم يكن بوسعه أن يصبر أكثر من ذلك. فاعتزم على تخليصها من هذه العادة فورا أو إعادتها إلى بيت والديها.

حين خرج جميع أفراد العائلة من البيت للعمل، في وضح النهار، حتى صار البيت هادئا، نهض كواك جاي وو من مكانه، ودخل الغرفة الداخلية، ورأى زوجته نائمة. ربما كانت مستغرقة في النوم العميق، حتى لم تستيقظ على صوت فتح الباب. كبح كواك جاي وو بصعوبة ثوران حنقه، وهز كتفها مرارا، وعندئذ فقط، فتحت عينيها، وراحت تحدق في وجهه لبرهة، لتؤكد من يوقظها.

وحين عرفت أنه هو زوجه، نهضت مسرعة، وجلست في الجانب.

- ويلك، ماذا دهاك؟ أ هذا أمر يستحق بك؟

في بداية الأمر، أراد كواك جاي وو أن يقنعها بكلام لطيف، لكن رأيه هذا طار من ذهنه، ولم يستطع كظم فوران الغضب، حتى ارتفع صوته تلقائيا.

- لا أقول لك عار زوجك. هل أنت تريد تدمير أسرتي؟

مع أن زوجها صرخ في وجهها والشرر أطلق من عينيه، كما لو أنه ينزل حالا على رأسها عقابا قاسيا، لم تفعل الزوجة إلا ترتيب شعر رأسها المتشعث، وتسوّي مظهر ثوبها.

حين رأى زوجتها ما زالت هادئة دون أي أمارة خوف من كلامه، ازداد حنقه، حتى سألها صارخا:

- أجيبيني حالا، هل أنت تزوجت مني للاعتناء بي ودعم عائلتي، أو لقتلي مقلقا وتدمير أسرتي؟

- لماذا تقول هكذا؟ ما هو ذنبي الكبير؟

- ماذا؟ أ ليس هو ذنب كبير لربة البيت التي لا ترتب البيت ولا تعمل في الحقول إلا النوم في النهار؟

- صحيح أن الأسرة تدمَّر، إذا لم تعمل ربة البيت إلا النوم في النهار. لكني أرى أن الأسرة أيضا يحافظ عليها، حين بقي البلد دون دمار. إذا تحطم عش طير السنونو فإنك ترى أن البيوض في عشه لم تبقى سليمة.

- ماذا؟

- إن بلدنا الأشبه بعش طير السنونو وقع على وشك الانهيار، من جراء اعتداءات الأعداء الأجانب في الجنوب والشمال. وما دام الأمر هكذا، لا تلوم من يقضون الأيام هادئ البال بمجرد قراءة الكتب واحتساء الخمور، ولا تعتبرهم

مخطئين، بل إنك توبخني مقلقا من تدمير هذه الأسرة الواحدة التي لا تشبه إلا بيض طير السنونو.

لجوابها المفاجئ هذا، لم يستطع كواك جاي وو أن ينطق بكلمة واحدة. كان كلامها صحيحا. رغم أن كواك جاي وو يقضي الأيام بقراءة الكتب وشرب الخمر مع الأصدقاء، يعرف أن اليابانيين عبر بحر الجنوب يتحينون فرصة لغزو البلاد، لكنه كان يعتبر صد غزو الأعداء الأجانب هو أمر البلاط الملكي وحده. مع أنه فكر في أن الأسرة تعاني خرابا، إذا لم تعمل ربة البيت إلا النوم في النهار، لم يخطر في باله أن البلاد تعاني دمارا، إذا قضى رب البيت أياما بشراب الخمر وقراءة الكتب فقط.

خرج كواك جاي وو من زوجته بعد عقد لسانه، ومن اليوم التالي، امتنع تماما عن احتساء الخمور، وجمع أصدقاءه على هيئة جماعة العمل الزراعي والصيد وغيرها ليدربهم على الفنون العسكرية.

من ذلك اليوم، أقلعت السيدة لي أيضا عن النوم في النهار، وأخذت تعمل بجد واجتهاد محتكرة شؤون البيت والحقول كلها لوحدها، منذ الصباح الباكر إلى وقت متأخر من الليل، وبها، ساعدت زوجها على استعداد القتال. بعد مضي سنوات قليلة من ذلك، انفجرت حرب إيمزين الوطنية من جراء غزو اليابان، وطار اسم كواك جاي وو في هذه الحرب بوصفه قائدا لجيش المتطوعين الفاضلين.

"كنز" كوريا

حدث ذلك، في فترة حرب إيمزين الوطنية ضد اليابان. دخل الراهب البوذي سونغ وون الملقب بالراهب (سا ميونغ دانغ) بوحده موقع العدو لإجراء المفاوضات معه.

سأله قائد الجيش المعادي كاتو كييوماسا قائلا: سمعت أن كوريا زاخرة بالكنوز، فما هو أفضل منها؟

رد عليه الراهب سونغ وون بهدوء: طبعا إن كوريا غنية بالكنوز، لكن أفضلها توجد حاليا في اليابان أيضا.

- أ يوجد في اليابان؟

- ألا تعرفه بعد؟

- ما هو هذا الكنز؟

- هو رأسك بالذات.

- ماذا؟ رأسي؟

- لم تجفل؟ قد قررت بلادنا منح مكافأة مالية كبيرة لمن يأتي برأسك المقطوع. إذن، تكون هذه أكبر الكنوز. أليس كذلك.

اصفر وجه قائد العدو، وظل ساكتا دون أن يجد أي جواب عليه. ومنذ ذلك الوقت، فترت همته، وخارت قواه أمام الموقف الجريء للراهب سونغ وون، حتى لم يتصرف أكثر من ذلك بغطرسة في المفاوضات.

"صخرة ويآم" (الصخرة الشريفة) القائمة بجانب جوسق تشوكسوك

بعد أن مني الغزاة اليابانيون بالهزيمة المنكرة في الهجوم على قلعة زينزو في الشهر العاشر القمري من عام ١٥٩٢، في فترة حرب إيمزين الوطنية، أعادوا الهجوم عليها في الشهر السادس القمري من العام التالي بأكثر من ١٢٣ ألف جندي من قواتهم في الشهر السادس من عام ١٥٩٣. دافع مدافعو القلعة لمدة سبعة أيام، بعد صد الغزاة الأكثر منهم بما يزيد على ٤٠ ضعفا. لكنهم اضطروا إلى التخلي عنها، للفرق الهائل في ميزان القوى.

في أحد الأيام من أوائل الشهر السابع القمري عام ١٥٩٣، بعد احتلال قلعة زينزو، أقام قواد العدو بما فيهم القائد كيداني وليمة احتساء الخمور في جوسق تشوكسوك القائم على الجرف في شاطئ نهر نام.

أمر كيداني صارخا لأحد توابع البلدة المحليين الكوريين الذي اقتيد عنوة، بإحضار الغانية رونكاي خارقة الجمال والشهيرة بأداء الرقص والغناء في هذه المنطقة.

قال التابع له إن إحضارها صعب، لأنه رأى مباشرة أنها كانت قائمة هنا في هذا الجوسق الذي كان فيه مقر قيادة الدفاع الكوري، حين أقسم قادة جيوش المتطوعين قتال الأعداء حتى بقاء قطرة أخيرة من دمائهم، وأكثر من ذلك، كانت تلهم جيش المتطوعين والشعب برقصها وغنائها، ونقلت بنفسها الأطعمة لهم، وقاتلت الأعداء فيما هي تقذف الأحجار إليهم.

- لماذا تقول صعبا؟

سأله كيداني صارخا، بعد أن أصابه الجنون.

رد عليه التابع:

- أصلا إن رونكاي جريئة وصلبة الطبع، ويضاف إلى ذلك أنها قد أقامت علاقات الود مع وحدات المتطوعين هنا.

- ها، ها، أنت لا تعرف من هن العاهرات. إنهن يتبعن دائما للأقوياء. فلا داعي للقلق. هيا أسرع إليها، وقل لها إني أدعوها.

أرسله كيداني ومعه عشرات من جنوده.

ذهب التابع مكرها إلى بيت السيدة هان حيث تقيم رونكاي. كانت السيدة هان مولودة في نفس المنطقة مع رونكاي التي تناديها بالأم. آنذاك، كانت رونكاي تلزم الفراش بسبب منتهى تعبها لمقاتلة العدو ليل نهار جنبا إلى جنب مع الرجال، بكونها إمرأة ضعيفة البنية. دفع الجنود اليابانيون إلى الجانب السيدة هان التي تمنعهم، واندفعوا جارين إلى الغرفة التي تكون فيها رونكاي راقدة.

حاول الأوغاد اليابانيون اقتيادها عنوة، لكنها انتفضت منهم، وصرخت في وجوههم:

- دعوني، أليس لكم أدب؟ سأعدّ عدة الذهاب، فانتظروني في الخارج.

حين خرجت رونكاي بعد قليل، اندهش الموظف التابع لجرأتها، وخصوصا، سيطرت الدهشة على السيدة هان. قد لبست رونكاي أبهى ثوب بقميص أخضر فاتح على التنورة الحمراء القانية، وكان الدبوس الفاخر مغروسا في شعر رأسها، والخواتم الذهبية تلتمع في كل أصبع من أصابعها.

- يا بنتي، هل فقدت عقلك؟ إلى أين تذهبين؟

وبختها السيدة هان بشدة.

- يا أماه، أ تظنين أن ذلك القائد الياباني الوقح يتركني وشأني في الغد، حتى إذا لم أذهب اليوم، وهل يغير أولئك الأوغاد قصدهم لممانعتك؟ فلا مفر لي أن

أذهب، وما دام الأمر هكذا، من الجدير أن أذهب رافعة رأسي على قدمي، دون أن اقتيد مذلة.

حين بلغت رونكاي جوسق تشوكسوك، حملق القادة اليابانيون بعيونهم لمظهر ثوبها الفاخر، ووجهها خارق الجمال وقوامها الممشوق، حتى بدا أنها حورية نزلت من السماء.

شرب كيداني عدة كؤوس صبت فيها رونكاي خمرا حسب طلبه، بعد أن جلست بتأدب إلى جانبه، وصرخ للتابع قائلا:

- هيا، أنظر كيف تقضي العاهرة الكورية الحسناء رونكاي وقت المتعة معي. هل عرفت الآن ماهية العاهرة؟

جعلت رونكاي القواد اليابانيين يحتسون الخمور حتى غروب الشمس، وحين صار صراخ وضجيج أولئك الأوغاد الثملين يملأ المكان، قامت رونكاي بهدوء، وغمزت لقائد العدو بعينيها، وقاده إلى الصخرة المسطحة القائمة على شاطئ نهر نام. أطلت رونكاي للحظة على مياه النهر الزرقاء. قبل أيام بالضبط، ألقى قادة جيوش المتطوعين بأنفسهم في هذا النهر العميق، شابكين أذرعهم بأذرع اثنين أو ثلاثة الجنود اليابانيين. أقسمت رونكاي قسمها الجليل على بذل نفسها من أجل البلاد مثلهم، وصرخت في وجه قائد العدو:

- أنظر يا وغد، سأريك من هن النساء الكوريات.

طوقت رونكاي عنق قائد العدو بذراعيها وضيقته، وألقت بنفسها معه في مياه النهر الزرقاء.

تخبط قائد العدو في النهر لإفلات عنقه من ذراعيها، لكنه لم يستطع أن يتخلص من ذراعيها، لأنهما كانتا محكمتين تماما بواسطة أصابعها المتشابكة بالخواتم الذهبية.

منذ تلك الفترة، كانت هذه الصخرة تسمى بـ"ويآم" (الصخرة الشريفة)، إشادة بإخلاصها ووفائها الشريف للبلاد.

بعد تنصت قول أحد ضباطه المرؤوسين

في فترة حرب إيمزين الوطنية ضد غزو اليابان، كان الأدميرال لي سون سين يتكلل بالنصر دائما في المعارك البحرية ضد الأعداء. كان أحد الأسرار في ذلك يعود إلى إصدار حكمه الصائب في حينه على الأوضاع المتغيرة. كان يتابع دائما تحركات العدو، بإرسال جماعات الاستكشاف إلى كل الجهات، ووضع الخطط العملية بدقة قبل البدء بالقتال.

كان يستعد دائما لمواجهة الأوضاع المتغيرة ليس في النهارات فقط بل في الليالي التي يؤوي فيها إلى الفراش أيضا. كان ينام في الليل أيضا بعد وضع رأسه على الطبل وهو وسيلة القيادة، دون خلع البزة العسكرية.

في ليلة أحد الأيام من ذلك، أمر لي سون سين برسوّ كل السفن العسكرية، وأخذ جميع الجنود راحة، في حالة المواجهة مع العدو في جهة كيوننايريانغ.

حين جن الليل، رقد هو الآخر على السرير في هيئة القيادة متوسدا الطبل دون خلع الزرد، وأغمض عينيه للحظة طلبا للنوم. وإذا به يحس بتوهج الغرفة كالنهار حتى فتح عينيه، ورأى البدر طلع في كبد السماء بعد انقشاع الغيوم كلها، وفي هذا الوقت، ترامى إلى سمعه تهامس العساكر من الخارج، فنهض منتفضا من فراشه، وسمع ما يقوله أحد ضباطه المرؤوسين، الذي يقوم برقابة الحراسة: لحسن الحظ، صار جنودنا ينامون مرتاحي البال. هل يجرأ الأعداء على الهجوم

في مثل هذه الليلة الصاحية كالنهار على ضوء البدر.

فتح الأدميرال لي سون سين الباب، ودعا ذلك الضابط، وطلب منه أن يجلب إليه كوبا من الخمر، وشرب كله، وأمره باستدعاء جميع الضباط إليه. وحين اجتمعوا، أمرهم بصرامة:

- هيا، انطلقوا فورا بالجنود إلى سفنكم، وكونوا حالا على أهبة للقتال.

وبعد ذلك، أمر بانطلاق أي سفينة إلى جهة ما وأخرى إلى أي جهة وتكون كلها في الانتظار هناك، وأرسل بعجلة الفرق الاستكشافية إلى كل الجهات.

كان الضباط غير راضين عن أمر الأدميرال بأهبة القتال في الليلة الواضحة كالنهار. لكنهم لم يستطيعوا أن يخالفوا للأمر العسكري، حتى فعلوا حسب أمره. وانطلق الجنود اللذين استغرقوا في النوم العميق في الزوارق الكشافة أيضا إلى كل الجهات، واقتربوا في الخفاء من مواقع العدو.

بعد اتخاذ هذه الإجراءات التامة، كان لي سون سين ينتظر وصول الخبر إليه، فيما هو يخطر في هيئة القيادة.

بعد مضي ساعات لا يستهان بها، صار البدر يكاد يميل إلى المغرب. وفي هذا الوقت بالذات، عاد الزورق الكشاف مسرعا، وقدم تقريرا بوصول العدو. كان الأعداء اليابانيون الماكرون يتسللون بسفنهم بالاستفادة من ظلال الجبل، التي لا يدخل إليه ضوء البدر المائل، دون الوصول في وسط البحر الواضح على ضوء البدر.

صعد لي سون سين إلى سفينة الرئاسة فورا، وانطلق بها إلى المكمن، حيث كان في انتظار مجيء سفن العدو، وحين رآها تقترب، جعل سفينته تطلق نار مدفعها إشارة للهجوم المضاد الشامل. عندئذ، بدأت السفن الأخرى المنتظرة في الأهبة للقتال بالانقضاض على سفن العدو من الجانبين، مطلقة إليها نيران

مدافعها المركزة. فوجئ جنود العدو بسفننا، حتى أطلقوا وابلا من نيران مدافعهم وبنادقهم. ولكن بما أن سفن العدو كانت سائرة بجموع في حالة اختفائها في ظلال الجبل، اضطرت إلى اصطدام بعضها لبعض عند الاشتباك بسفننا، حتى وقعت في حيرة واضطراب. وبالنتيجة، غرق عدد كبير منها، وأصيب بنيران سفن لي سون سين، وهربت عدة السفن منها فقط بصعوبة.

تهلل الضباط والجنود فرحين بهذا الانتصار الرائع، وقالوا إن الأدميرال لي سون سين قائد إلهي خارق الطبيعة، حتى عرف مسبقا وصول سفن العدو في الليلة المقمرة الواضحة كالنهار.

في اليوم التالي، كان لي سون سين يتفقد سفنه، وفي أثناء ذلك، سأله ذلك الضابط الذي كان يقوم بمهمة رقابة الحراسة في اليوم السابق:

- كيف عرفت مسبقا يا حضرة الأدميرال، وصول سفن العدو في ليلة منيرة بالبدر؟

- أوه، أ لستَ نبهتني ذلك؟

- ماذا؟

- أ لست قلت؟ وقلت لجنودك: فلنأخذ راحة كافية، شريطة أن الأعداء اليابانيين لن يهاجموا في الليلة المنيرة بالبدر كالأمس.

- أجل، إن جميعنا فكروا هكذا.

- فكر جميعكم والأعداء أيضا هكذا.

- هل الأعداء أيضا؟

- طبعا، إن الأعداء أيضا رؤوا أن عساكرنا سيفكرون في عدم هجومهم في ليلة مقمرة.

- يعني أن الأعداء حسبوا ذلك.

- لذلك، حسبت أنا أيضا أن الأعداء سيهاجمون في هذه الليلة. فإني لست "إلها"، بل إن الفضل في النصر يعود إلى إيقاظكم لي.

باك داجي

كان باك داجي واحدا من عشرة القواد في بيونغ يانغ، الذين قاتلوا للدفاع عن مدينة بيونغ يانغ المسورة في فترة حرب إيمزين الوطنية ضد غزو اليابان. كان اسمه الأصلي باك أوك، ولكن أطلق عليه لقب باك "داجي" بمعنى متوفر الحكمة.

صار اسمه أكثر شهرة، باجتراحه عددا كبيرا من المآثر القتالية بحكمته. قصة دفاعه عن مخاضة وانغسونغتان أيضا كانت واحدة منها.

في الشهر السادس القمري من عام ١٥٩٢، زحف الأعداء اليابانيون حتى إلى الضفة الأخرى من نهر دايدونغ. فقرر العساكر والمتطوعون المدافعون عن بيونغ يانغ المسورة للدفاع عن مخاضة نهر دايدونغ للحيلولة دون عبور الأعداء هذا النهر.

وعلى ذلك، صار عشرة القواد في بيونغ يانغ أيضا يدافعون عن مخاضة وانغسونغتان من المخاضات العديدة الأخرى.

في ظروف عدم استكمال تهيئة الأهبة لصد الأعداء، حرصوا على أن يتقدم القائد باك داجي أولا بقيادة وحدة المتطوعين إلى مخاضة النهر. وعلى إثرها، تقدمت الوحدة الأخرى بعد إعداد السهام والرماح والسيوف في داخل السور، ولكن قائد الوحدة الأخيرة رأى باك داجي الذي جاء قبله يقيم أعلاما في كل

أماكن النهر العميقة، وينصب المتاريس على ضفتها، دون أن يعمل على ذلك في مخاضة وانغسونغتان، فصاح له:

- ما تعمل، يا أخي باك؟

- لماذا؟ هل تراني أخطأ في نصب موقع القتال؟

- طبعا، إن مخاضة وانغسونغتان التي يجب علينا أن ندافع عنها ليست هنا، بل هي جهة أعلى من هنا.

- هل تظنني لا أعرف أنا أهل بيونغ يانغ أين تقع هذه المخاضة؟

- لماذا، إذن، تقيم دفاعات هنا؟

- طبعا، للدفاع عن مخاضة وانغسونغتان.

- للدفاع عنها، عليك أن تقيم دفاعات أمامها، لا في أماكن المياه العميقة التي لن يعبرها الأعداء.

دققه في الأمر بعجلة هيون سو بايك الذي أطلق عليه لقب "جريء" لأنه رجل حاد الطبع الذي يقول كل ما يريد أن يقول لأي فلان ما.

لكن باك داجي أجابه رابط الجأش بأسلوب قوله المازح العادي:

- أعمل هكذا، لأن الأعداء أيضا سيفكرون مثلما نفكر.

- أيه، أ تفكير الأعداء أيضا سواء معنا؟

قبل أن يجيب باك داجي عليه، تعالى هنا وهناك صياح أن "الأعداء ظهروا".

فعلا إن مئات الأعداء يتهافتون جموعا على أسفل السد في الضفة المقابلة للنهر، مثيرين ضبابا من الغبار.

اضطر القواد في بيونغ يانغ المسورة إلى تهيئة الأهبة للقتال في الدفاعات التي أقامها باك داجي دون نقلها إلى مخاضة وانغسونغتان.

كانوا يتابعون تحرك الأعداء مقلقين من الخوف على توجههم إلى ناحية مخاضة وانغسونغتان مارين بأمامهم. لكنهم لحسن الحظ، لم ينتقلوا بل إنهم راحوا يطلقون نيران بنادقهم نحو الدفاعات المقابلة التي ترفرف فيها الأعلام.

ردا على ذلك، بدأ العساكر المتطوعون الكوريون بإطلاق السهام نحو الأعداء، بإشارة باك داجي. كان الأعداء أيضا يزيدون من نيران بنادقهم صائحين.

أمر باك داجي هذه المرة بإطلاق السهام بأقل عدد منها، وإسقاطها في منتصف النهر دون عبور النهر، وذلك بقصد التظاهر بفتور معنويات عساكرنا خائفين من نيران العدو.

كما لو لا تفوتهم هذه الفرصة، خاض جميع الأعداء اليابانيين في مياه النهر، وراحوا يسبحون صائحين.

حين خاض جميع الأعداء تقريبا في مياه النهر العميقة، أمر باك داجي لجنوده جميعا بإطلاق نيرانهم المكثفة نحو الأعداء.

لم يكن بوسع الأعداء الذين كانوا يسبحون في مياه النهر أن يتفادوا وابلا من السهام المتوجهة إليهم، حتى غرقوا في المياه واحدا بعد الآخر. حين رأى الأعداء السابحون في الوراء زملاءهم الموتى يغوصون في المياه، قبل وصولهم حتى إلى منتصف النهر، راحوا يلوذون بالفرار. لكن عدد الهاربين منهم لم يكن إلا قليلا. انتهت أخيرا هذه المعركة بانتصار العساكر المتطوعين الكوريين.

دنا باك داجي إلى هيون سو بايك الذي يتهلل فرحا بالانتصار، وربت على كتفه قائلا:

- هل رأيت؟ فكر الأعداء أيضا مثلك أننا سندافع حتما عن المخاضة، وإلا فكيف قفزوا في مياه النهر العميقة التي ندافع عنها، تاركين المخاضة التي لا ندافع عنها؟ ها. ها. ها. ...

قهقه القواد والعساكر المتطوعون مرحين، دون أن يتمالكوا أنفسهم من شدة الإعجاب بحكمة باك داجي الذي أباد الأعداء بحيلته المضللة.

شراء قبعة الخيش

ذات يوم، ذهب سين جاي هيو (١٨١٢ - ١٨٨٤) إلى السوق لشراء قبعة الخيش، برفقة صديقه، وسأل:

- هل تريد بيع قبعة الخيش هذه؟ كم ثمنها؟

قال بائع القبعات بالإيجاب، وأخبره بثمنها.

اختار سين جاي هيو أفضلها، ودفع ثمنها وقال: شكرا، سألبسها جيدا.

قالها سين جاي هيو، واستدار إلى الوراء، وبينما كان سائرا إذ سأله الصديق باستغراب.

- ما هذه الهفوة، يا صديقي.

- ما هي هفوتي؟

- ما دمت نبيلا، كيف تستطيع أن تقول هكذا لصانع القبعات الوضيع.

- ها. ها... أنت تلومني لأني قلت لصانع القبعات بكلام محترم.

قهقه سين جاي هيو ضاحكا.

في تلك الحقبة، لم يستعمل النبلاء أبدا كلاما محترما لعامة الناس الوضيعين، وعلى الأخص، كانوا يحتقرون الصانعين ويعاملونهم بإهانة، معتبرينهم غير جديرين بالبشر.

ولذلك، كان صديقه عبر عن استغرابه، حينما تفوه سين جاي هيو بكلام

محترم جدا لصانع القبعات. لكنه قال لصديقه، بعد أن ضحك بملء قلبه:

- يا صاحي، لم أكن أرتكب هفوة، بل إن عادة الدنيا صارت مضحكة.

- ماذا يعني ذلك؟

- ذلك لأن من يحتقرون صانعي القبعات ويعاملونهم بإهانة يضعون بسرور تلك القبعات على رؤوسهم.

لقوله هذا، عقد لسان صديقه حتى ابتسم ابتسامة باهتة.

حكم عادل

في أحد الأيام، حين كان رجل يدعى هام تشي وو يشغل منصب حاكم محافظة زولا، أتى الشقيقان النبيلان الشابان إلى هيئة الحاكم لرفع دعواهما إليها. طالب الشقيقان بإصدار حكم عليهما، لأنهما لم يجدا تصفية على أي منهما يأخذ قدرا كبيرة والآخر قدرا صغيرة منهما.

سألهما الحاكم حيثية هتين القدرين. على ما أجابا عليه، كان أبوهما توفي فجأة دون الإبقاء على وصيته، فقررا توزيع كل الممتلكات سواء بسواء. لكن المشكلة قد أثيرت لاختلاف حجم القدرين. أراد الشقيق الكبير كبيرة منهما طالما أنه أكبر منه، لكن الشقيق الصغير لم يتنازل قائلا إننا قررنا توزيع كل الأشياء بسواء.

بعد أن سمع الحاكم كلامهما، تأوه قائلا:

- يا حسرتي، أين أخلاق الإنسان في هذه الدنيا، ما دام يتصرف هكذا أبناء النبلاء المدعين؟

بعد أن ابتسم الحاكم ابتسامة صفراء، صرخ للتوابع:

- كسروا تينك القدرين، وزنوهما بالميزان، ودعوه يأخذ كل منهما نصيبه المتساوي.

لقوله هذا، حملق الشقيقان بعيونهما، يلتفت كل منهما إلى وجه الآخر، وتوسلان للحاكم إلغاء دعواهما.

لكن التوابع كسروا القدرين فورا حسب أمره، ووزنوهما بالميزان، وأعطوها لهما على السواء.

كان الشقيقان النبيلان على وشك البكاء، بعد أن تسلما قدرا مكسورة. حقا كان مشهد وجهيهما منفرا للعين.

غسيل مع لابسه

ذات ليلة، كان جونغ سو دونغ يجوب في أنحاء المدينة المسورة لشؤونه الخاصة إلى وقت متأخر من الليل، حتى صار وقت حظر التجول، بحيث لم يكن بوسعه أن يعود إلى بيته، فقرر أن يذهب إلى بيت صديقه ليبيت ليلة فيه.

استقبله صديقه الأفندي كيم بالترحاب، لكنه لم يخف سيماء وجهه المقلق، فسأله.

- ماذا بك؟ أرى سيماء وجهك معكرة. هل أنت مريض؟

- كم هو جيد إذا كنت لذلك؟

- لماذا إذن تتململ مقلقا؟

- في الحقيقة أن هذه الليلة هي يوم طقس لإحياء ذكرى عمي الكبير الراحل.

- إذن لماذا لم تذهب حتى الآن؟

- إسمع، إني ظننت الطقس هو يوم موته، لكني سمعت من الأخ الجار الذي جاء إليّ بالنزهة أن الطقس يجب إقامته في اليوم السابق من موت الراحل.

- آه، ليس هذا أمرا نمر به دون التفات، على كل حال عليك أن تذهب حالا ولو الآن، ما دمت قد عرفت ذلك.

- لم لا أدري ذلك؟ ولكن ماذا أعمل الآن، في وقت حظر التجول؟

- لا حاجة للقول الآخر، أهم شيء هو أنك تذهب الآن.

- ولكن، إذا صادفت الخفراء الليليين فإنهم سيقبضون عليّ، وعندئذ، سأعاني عقابا قبل إحياء ذكرى الراحل.

- لا داعي للقلق، يا صاحي، بأي حظ بائس، ستصادف الخفراء، حين خالفت للنظام نادرا ما. إذا صادفناهم فإني سأعالج الأمر. هيا نذهب.

تشجع الأفندي كيم على حث جونغ سو دونغ، فأعد صرة من الأطعمة اللازمة للطقس، وخرج بها من البيت، مع صديقه جونغ.

حين كانا سائرين إلى اتجاه توسونغرانغ، بعد التفاف دروب الأزقة داخل السور، على ضوء القمر الباهت، إذا بهما يصادفان لسوء الحظ الخفراء الذين يفتشون ركنا بعد ركن في الدروب الضيقة من الزقاق.

- أنظر، يا صديقي. يقبل الخفراء إلى صوبنا.

- مهلا! سأقودهم إلى ذلك الدرب الذي جئنا عليه، فعليك أن تختفي للحظة في هذا الركن. وبعد مرورهم، خذ طريقك باستمرار. هل فهمتني؟

بعد أن أخبأ الأفندي كيم في الركن الجانبي، استدار جونغ سو دونغ إلى الوراء، وأطلق ساقيه للريح، مطلقا صوت خطاه المدوية وتاركا جلبابه الأبيض

يصطفق بالريح، ليجعل الزقاق يضج بصخب.

فوجئ الخفراء بصوته هذا، حتى صاحوا لهذا الفرار:

- قف في مكانك، يا وغد.

طارده خمسة أو ستة الخفراء صائحين، دون أن يلوون على شيء. لكن جونغ سو دونغ لم ينفك عن الجري متملسا من هذا الزقاق أو ذاك ليستدرج الخفراء، وحين رآهم يتسكعون في عديد من الأزقة فاقدين آثاره، قفز إلى سياج بيت أحد الأغنياء الواقف بشموخ بجانب الطريق، وانبطح على بطنه فوقه.

بعد أن ضرب الخفراء في الأزقة بحثا عن آثاره، جاؤوا أخيرا إلى أسفل السياج الذي انبطح عليه جونغ سو دونغ، وتهامسوا متسائلين: أين هو؟ واضح أنه ركض إلى هذا الاتجاه. يا للشيطان!

وفي غضون ذلك، صاح أحد الخفراء مشيرا إلى السياج: ماذا ذلك؟

- أين؟

- ذلك الشيء الأبيض على فوق السياج.

- أ ليس ذلك الوغد الهارب إلى هذا الاتجاه؟

- إنزل سريعا، يا وغد!

لكزه أحد الخفراء بطرف هراوته.

- ما الأمر، لماذا أنتم؟

صرخ جونغ سو دونغ من جانبه غاضبا.

- ويل لك، يا وغد، لماذا أنت منبطح هنا؟ إنهض سريعا!

- هذا غسيل.

- ماذا؟ غسيل؟ ها. ها. ... كيف يقول الغسيل؟

- غسيل مع لابسه.

- ماذا؟ غسيل مع لابسه؟

- ألا تعرفون غسيلا مع لابسه؟ غسلت ثوبي في حالة لبسه، لأنه ليس لي ثوبا بديلا منه، فإني أجففه حاليا بعد أن لبسته. هل فهمتم؟

- إذا، يمكنك أن تنبطح على أي مكان قريب جاف. لماذا وصلت إلى هذا المكان البعيد؟

- أنظروا يا أصدقاء. أين مكان دافئ يمكن تجفيف ثوبي في حالة لبسه في منتصف هذه الليلة، ما عدا هذا السياج المسقوف بالقراميد السوداء.

- ماذا؟

- إذن، أخبروني أين مكان أفضل من هنا. كل دقيقة قيمة لي، لأني لا أستطيع أن أذهب للعمل إلى الحقول، إلا عندما يجف هذا الثوب.

- ؟ ...

لم يجد الخفراء كلاما سيتفوهون به، حتى بقوا واجمين.

هكذا، استدرج جونغ سو دونغ مطاردين بالمراوغة، ودار إلى الوراء، والتقى بصديقه وذهب معه للمشاركة في الطقس لإحياء ذكرى موت عم صديقه. حين سمع أفراد عائلة عم صديقه هذه القصة انفجروا ضاحكين، ناسين أنهم في الطقس المهيب لإحياء ذكرى موت الأب.

وصفة ساحرة

كان لي جي ما (١٨٣٧ - ١٩٠٠)، طبيبا وعالما طبيا مشهورا في كوريا اخترع طب الخصائص الجسدية المنقسمة إلى أربعة أصناف وهي الجسم

الشمسي والجسم القمري والجسم الشمسي الصغير والجسم القمري الصغير.

حدثت هذه القصة، حين كان لي جي ما يعالج المرضى في بلدة هونغواون بمحافظة هامكيونغ الجنوبية. في أحد الأيام، جاء أحد الأغنياء إليه لعلاج مرضه.

جس لي جي ما نبضه أولا قبل أن يشكو من مرضه، وتأمل في وجهه لبرهات طويلة، وقال:

- جئت لمرض المعدة.

- صح قولك. إني أشكو من سوء الهضم ...

- لكن هذا المرض لم يحدث لك بين ليل وآخر. ولذلك، لن يكون أي دواء أفضل ناجعا لمرضك.

- ياه، أصبت تماما في التشخيص. عانيت من هذا المرض لسنوات عديدة، وفي أثناء ذلك، استخدمت كل الأدوية والعقاقير الناجعة مثل الإنسام البري وقرن الأيل، وذهبت إلى الأطباء الكثيرين من دون جدوى. لكني سمعت أن صاحب سعادتكم ماهر في الطب، فجئت من المكان البعيد، وأرجوكم أن تخلصني من هذا المرض اللعين.

- تكون ثمة وصفة مناسبة مع هذا المرض. لكني أخشى عدم تنفيذها لصعوبته.

- لا، لا داعي لهذه الخشية. أي ثروة لا أقترها لاستشفاء مرضي. ولن أتوقف عن تناول الأدوية مهما تكن مرها.

- إذا كانت عزيمتك هكذا، فإني أصف لك هذه الوصفة. وعليك أن تفعل حسب هذه الوصفة كما هي عليه.

- بالطبع، سأفعل كما تشير إليه.

في الحقيقة أنه ليست صعبة بتلك الدرجة. في حوالي طلوع الشمس كل

يوم، إذهب إلى الحقل، وإقلع خمسين جذامة من جذامات الذرة، وإفعل هكذا لمدة حوالي خمسة عشر يوما.

- هل تقصد جذامات الذرة؟

- أجل، توجد هذه الجذامات في كل الحقول الآن، لأن الحصاد انتهى لتوه.

- إذن، أي دواء علي أن أتناوله، مع إقتلاعها.

- لا حاجة إلى أي دواء.

- ماذا؟

بما أن الغني لم يفهم كلامه، لم يود أن ينصرف.

- زرني مرة أخرى، بعد أن تفعل حسبما أشرت إليه.

اضطر الغني على العودة إلى بيته.

كان من أمر سخيف أن يعود بيد فارغة، دون أخذ حبة من الدواء بعد الذهاب إلى الطبيب، وأسوأ من ذلك، كانت وصفته منافية للعقل. لكنه قرر الإقبال على هذا العمل، عزما على انخداعه مرة بكذب الطبيب، طالما أن ذلك هو كلام الطبيب المشهور وكذلك، لا ينفق مالا.

ولكن يا لغرابة الأمر، بعد مرور أقل من خمسة أيام منذ اقتلاع خمسين جذامة ذرة في حوالي طلوع الشمس كل صباح، شعر الغني باختفاء سوء الهضم، وبعد عشرة أيام من ذلك، شعر بالجوع، وفتح الشهية، وبعد أن مضت خمسة عشر يوما، لم يصاب بمرض المعدة، مهما تناول كثيرا من الأطعمة. صاح الغني تعجبا في نفسه:

- يا لها من وصفة ساحرة!

لشدة السرور، جعل خادمه يحمل أمتعة قيمة وأطايب أطعمة، وزار به الطبيب، في اليوم التالي بعد مرور ١٥ يوما. كان يود أن يقدم له تحية شكره

على "وصفته الساحرة"، وإضافة إلى ذلك، أراد أن يعرف سر استشفاء مرض المعدة بأسلوب اقتلاع جذامات الذرة.

- يا دكتور، كانت وصفتك ساحرة حقا.

- حقا؟ هل شاهدت نجاعة؟

- أجل، شفي مرضي الذي دام عشرة أعوام، لمدة ١٥ يوما. هذا لغز حقا. ولكن أود أن أسألك أي روح دواء ناجع تفوح من جذامة الذرة في الصباح.

- أي روح تقصدها؟

- دون هذه الروح، كيف يمكن شفاء المرض بهذا العمل؟

- ذلك السبب بسيط. لا يصاب المزارعون بمرض المعدة، لأنهم يعملون في الحقول منذ الفجر كل يوم.

لذلك، أصدرت لك تلك الوصفة، بما أني رأيت أن مرضك أيضا سيتم شفاؤه، إذا تحركت وعملت مثلهم.

لقوله هذا، احمرّ وجه الغني، ولم يجد كلاما آخر.

قصص قديمة في كوريا

تحرير: تاك سونغ إيل

تصميم الغلاف : جانغ هيانغ أوك

ترجمة: كيم بونغ نام، سون تشونغ سونغ، جو سونغ هيوك

ناشر : دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

إصدار: سبتمبر/ أيلول ١١٠ زوتشيه (٢٠٢١)

E-mail:flph@star-co.net.kp
http://www.korean-books.com.kp

ISBN 978-7744-0-20571-4